

موارد أهل الصفا

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

الباب الأول

خصوصيات أهل الصفا وآداب أهل الوفا

الفصل الأول:

أهل الصفا وأهل الوفا

أهل الصفا قوتهم من القدس، فهم مع الله، وعند ربهم، سارعوا إلى العبادة تعظيماً لأمر الحاكم جل جلاله، وبهجة بالقيام بين يديه، عاملين بمحابه ومراضيه مع رعاية إقامته إياهم.

وأهل الوفا قوتهم روحاني من الملكوت، وأنسهم بالمجاهدة الفادحة، ليتجردوا من غواشي الحس الحاجبة، ورعونات النفس المنازعة للأحكام.

ونهاية مقامات أهل الوفا: صفاء مشاهد التوحيد من الشوب، وبدائتهم بمجاهدة النفس، لتنتطب على الخير وتسارع بالفطرة إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه، حتى تفوز

بشميم عيبر أهل الصفا، الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ

وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢ . فالمجاهدة لا تفارق المؤمن، حتى يفارق الحياة

الحيوانية، وإن بلغ أرقى مقامات الشهود لأنه ما دام في حياته الحيوانية، فهو في

وطن التكليف والتعريف، قال الله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ الأحزاب:

٢٣. والمجاهدة فضل الله تعالى، فإن الحي القيوم يقيم من أحبههم مقام أبدال رسله صلوات الله عليهم، وقد أقام الله المسلمين مقام رسله في نزل الوفا والصفاء، فهم عماله المخلصون. وإنما يمتاز أهل الصفا بشهود الحكمة في الأحكام عند القيام به، وتفريد الحق جل جلاله بالقصد دون غيره، ورؤية سواطع أنوار جماله، وجلاله،

وكماله، خصوصاً عند القيام له، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ

شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥). فالمسلم

قوام لله بالقسط يشهد لله ولو على نفسه، وهو في وطن كون الفساد لا ينفك مجاهداً، ولو رفع الله تعالى فيما بينه وبينه الحجاب. أما ما يحصل من أحوال أهل اليقين، من الإقبال بالكلية على الله تعالى، تجريداً من الدنيا، وفراراً من الخلق، وأنسا بالوحدة، ومن صرف الهمة على طلب العلم النافع، والقيام بالعمل الرافع، أو من العلوم التي يفتح الله بها عليهم، بما لا يذوق معناها إلا من زكت أنفسهم، كما قال

الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

(الشمس: ٧-٩). فذلك مما تنتجه المجاهدات، وإن لم تكن علة له، فإن تلك النعم والإحسانات فضل الله تعالى، تفضل بالفضل منه، والمجاهدة نفسها هي فضل الله تعالى، والإنكار على أهل الاستقامة الذين لم يخرجوا عن أحوال رسول الله، ولا عن آدابه، برهان على جهل المنكر. أما من فارقوا آداب الشريعة، وخالفوا منهج الحقيقة، فإن كانوا ممن سلبت عقولهم، وزالت موازينهم، فهؤلاء يرحمون، والأولى حجرهم بحجرات، رحمة بهم حتى يحصل لهم الشفاء، أما من تكلفوا من أهل العقل هذا الحال، حتى صار عادة لهم، وتلذذوا بالأعمال الشيطانية، فهؤلاء ليسوا من أهل الطريق في شيء، والطريق وأهله براء منهم، وأن موسى السامري أضل قومه،

مع وجود كلیم الله، ورسول الله هارون، عليهما السلام، وأنبياء الله من بني إسرائيل. وكل مسلم يحب الله ورسوله، يجب أن تكون غيرته لله ولرسوله ﴿﴾، دفعا لشرر شرور هؤلاء المضلين، وما من زمان من الأزمنة، إلا وظهرت به تلك المفاسد، والله يتولى الصالحين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أَهْلُ الْوَفَا قَصْدُهُمْ رَوْضَاتُ جَنَّاتٍ
وَالْعَاشِقُونَ جَمَالَ الْوَجْهِ قَصْدُهُمُ
أَهْلُ الْمَحَبَّةِ بِالْمَحْبُوبِ شُغْلُهُمُ
أَهْلُ الْعَزَائِمِ لِلْمَحْبُوبِ قَدْ رُفِعُوا
فَرُّوا إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَآخِرَةِ
أَنْوَارُهُمْ أَشْرَقَتْ لِلرُّوحِ ظَاهِرَةً
كَمْ مُبْعَدٍ قَرَبُوهُ مِنْ مَعَارِفِهِمْ
مِنْ قَطْرَةٍ يَرْتَقِي الْمَطْلُوبُ مُرْتَفِعًا
كَمْ جَاهِلٍ نَالَ عِلْمًا مِنْ مَجَالِسِهِمْ
مِنْ قَطْرَةٍ مِنْهُمْ تَحْيَا الْقُلُوبُ نَعَمَ
كَمْ مُذْنِبٍ وَمُسِيءٍ نَالَ مَغْفِرَةً
أَضْحَى وَلِيًّا لَهُ قَلْبٌ وَمَعْرِفَةٌ
كَمْ أَحْمَقٍ جَمَلُوهُ مِنْ لَطَائِفِهِمْ
عَيْنُ الرُّءُوسِ تَرَى أَنْوَارَ ظَاهِرِهِمْ
أَهْلُ الْعَزَائِمِ أَفْرَادٌ مُجَمَّلَةٌ

أَهْلُ الصِّفَا قَصْدُهُمْ مَجَلَى كَمَالَاتٍ
كَشَفُ الْحِجَابِ بِمَعْنَى سِرِّ آيَاتٍ
ذَكَرُوا وَفَكَرُوا حُضُورًا فِي الْبَدَايَاتِ
لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ أَعْلَامُ الْكَرَامَاتِ
حَتَّى رَأَوْهُ بِلَا كَيْفٍ وَحِطَّاتٍ
أَسْرَارُهُمْ أَسْكُرَتْ أَهْلَ الْمَقَامَاتِ
حَتَّى تَجَمَّلَ مِنْهُمْ بِالْعَنَايَاتِ
قُدْسَ الْجَلَالَةِ فِي حُلَلِ النَّهَايَاتِ
أَضْحَى حَكِيمًا عَلِيمًا بِالْإِشَارَاتِ
يَرْقَى الْمُرِيدُ إِلَى مَلَكُوتِ جَنَّاتٍ
لَمَّا تَقَرَّبَ مِنْهُمْ بِالْمَحَبَّاتِ
يَرَى النَّبِيَّ عَيْنًا حَالِ خَلَوَاتٍ
بِالْحِلْمِ وَالْعِلْمِ فِي حَالِ الْمُنَاجَاةِ
عَيْنُ النَّفُوسِ تَرَى غَيْبَ الْكَمَالَاتِ
بِالسَّرِّ مِنْ خَيْرِ رُسُلِ اللَّهِ بِالذَّاتِ

آداب المجالسة مع أهل الصفا

لا تجلس في صفاء حالك مع من لا يشاكلك فإنه حجاب، ولا تجلس في آفات المزج مع أهل الصفا فتحجبهم، وتكلف الصفا مع أهل الصفا إن لم يكن ثم صفا حتى لا تعكر عليهم أحوالهم، وإن كان لابد من عرض حالك فليكن بقلبك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (الحجرات: ٥). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ (المائدة: ١٠١). كما أنك لا تقوم لله بعمل إلا في صفاء وتجريد مما سواه ومن سواه حتى تذوق لذة العمل لله بالله، وإذا أضر بك أمر فافزع إلى الصلاة ليزول من قلبك ما ألم به قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥). إن الله أعطى أكمل العطايا فهو المتفضل ولا استحقاق لك في شيء، وإن منع فهو المتفضل ولا استحقاق لك في شيء، فهو المتفضل في منعه وإعطائه.

أهل الكمال

استحضار حضرة الغيب في الشهود صعب إلا على أهل الوجود، والسلوك نار المجاهدات، والوصول نور المشاهدات، والمطلوب لا نهاية له، وإذا أردت صافي الشراب فالزم هذا الجنب.

عجبت لمن أهل للكمال ويميل إلى النقص، ومن سخر له كل شيء ويسخر لأدنى شيء، ومن خلقه الله ليكون خالصا له فمالت به دناءته إلى الحضيض الأسفل، إذ ليس بينك وبين الكمال الذى تكون فيه - ليس لك رب إلا الله - إلا أن تنظر نظرة في نفسك وفيما حولك، أو تسوح بنفسك الطاهرة في ملكوت السموات والأرض، وهى لحظة بها تقع الصلحة، وكيف تبخل على نفسك بما به يدوم

أنسك؟!

يفرح الإنسان بمال يقتنيه وهو يجمعه ويجهل أنه يرديه، ولا يفرح بأن يتقرب إلى الله قرباً إلى مقعد صدق يعليه، وليس بين الجنة والنار إلا نظرة بعين السر تستبين بها الحقائق، وتظهر بها غوامض الآيات للأعين جليات.

محاسبة النفس

المريد أعلم بنفسه من كل من سواه من الخلق، وهو الأستاذ المرشد لها في أكثر أحوالها، لأن الحق ظاهر لا يخفى، والباطل معلوم لا يجهل، وخصوصاً لطالبي الحق، وإنما الأستاذ أو المرشد يكون لكشف ما خفى من غوامض الحكمة، وأسرار الآيات، وبيان ما يحتمل التأويل، ويبعد عن الفكر من النصوص، وأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما خفى من مناهج التحقيق، فعلى المريد الصادق أن يحاسب نفسه محاسبة العالم بخفاياها، الذى لا يغتر بشيء منكشف له من نفسه من بواعث الحظوظ، والأهواء، والآمال المخالفة للحق، وزهرة تلك العاجلة، فإن الحق إذا مازجه بشيء من الباطل صار كل الأمر باطلاً، والأصل في الأعمال والمراقبات والمجاهدات والمشاهدات حسن الإخلاص لذات الله تعالى، وكمال الصدق في التوجه إليه، مستحقراً كل حظ عاجل، وشرف معدوم، وعز دنيوى، ونعيم أخروى في جانب الصدق في العبودية لله، وحسن الإخلاص لذاته سبحانه وتعالى، تاركاً لكل ما يلائم نفسه وهواه وحظه في هذا الجانب، حتى يرى أنه مخطئ إذا خطر على قلبه خاطر من أمل يخالف حسن الإخلاص، ولو في نيل أرفع المراتب الدنيوية، والمنازل الكونية، وشعر أن ذلك ربما أوحش قلبه بعد أنسه بالإخلاص، ولو لم يكن في ذلك ذنب شرعى ومال إليه لا يصدق عليه أنه مريد للحق لأنه رجع جانب حظه، فالمحاسبة للنفس لا تكون إلا لمحبة صادق مال إلى الإخلاص

من مهلكات نفسه، وزهد شرف الدنيا، ولم يتجمل للخلق بل سعى أن يتجمل للخالق بما شرعه سبحانه، ولم يهتم بشأن الخلق وهذا من علامات العناية من الله تعالى بالعبد.

السالك أعلم بأمراض نفسه

الإنسان السالك من شغله تطهير نفسه وجلاء أدرانها عن النظر في عيون الناس، وأنه على الحقيقة أعلم بأمراض نفسه علم يقين لا شك فيه، لأن الحلال والحرام لا يخفيان على أحد من الخلق، وخصوصاً أمراض القلوب التي يشعر الإنسان بها بدون منه كالحسد، والشح، والهوى، والعلو في الأرض بغير الحق، والطمع في غير مطعم، والعقل من يجاهد نفسه في ذلك ويتحزنها (يوجعها) في جليل الحوادث وصغيرها، حتى يعلم ما فطرت عليه نفسه من الأوصاف الجميلة، والخصال القبيحة، فإذا تحقق من نفسه سعى إلى عرض تلك الأمراض على طبيب حاذق يعالج له نفسه، ولا طبيب أنفع من العزم والصبر ومرشد تقى عالم بالداء والدواء، ولكن الطبيب لا ينفع علاجه إلا إذا كانت النفس تميل إلى الحق راضية به، مطمئنة إليه، راغبة فيما عنده، راهبة من قهره وعظمته، وبذلك ينفع الدواء، والمريد هو المنفذ لأوامر الحكيم في السر والعلن، وهو أولى بنفسه من غيره.

مراتب نفوس

السالك والمشتاق والمحِب

قد تنمحي ظلال الحقائق السافلة عن جوهر النفس حتى تسكن النفس إلى حالتها التي اقتضتها نشوة راح المحبة، فيترك الإنسان المجاهدة معتقداً أنه تخلص من الحقائق المتممة له التي هي من العالمين، ومعلوم أن الحس والجسم أقوى تأثيراً على النفس مما

يرد عليها من عالمها المجرد، فإذا سكنت النفس وأهملت المجاهدة أسرع تلك الظلال على جوهرها الآنس بصفاته، فيستقبل جوهر النفس تلك الظلال وفيه ساطعة نور ملكوت شعشعاني، فتسرح النفس في تلك الظلال مقتبسة منها آياتها، فإذا خاضت عباب هذا البحر بحر الظلمات حصل لها التيه فيه، فإما أن تأنس بما لا يجانسها فتحصل الغيرة، وإما أن تصعق مما هي فيه فلا تجد سبيلا للتخلص، ففي تلك الغيرة تمديد المعونة الإلهية لأهل المحبة فتخرجهم من وحلة التوحيد إلى فضاء التزيه والتفريد، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧). وهذه خصوصية أهل المحبة.

أما أهل العلم والرياضة فقد تلمح عيون أنفسهم معالم التصريف فتركن إليه، أو يتوالى عليها زينة الحياة الدنيا وزخرفها فيميلون إليها قال ﴿﴾: (يد المؤمن في يمين الله كلما وقع أقامه) وقال ﴿﴾: (أَعْدَىٰ عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنَيْبِكَ) [رواه البيهقي في الزهد وله شاهد من حديث أنس]. وقال ﴿﴾: (رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ جِهَادِ النَّفْسِ) [رواه البيهقي بسند عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر]. وأهل المحبة ترعجهم نيران المحبة عند كل فترة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١). وقال ﴿﴾: (اتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالَمِ أَنْتَظِرُوا فَيَتَنَّهُ) [رواه العسكري والديلمي عن عمرو ابن عوف مرفوعا، والبيهقي عن ابن عمر مرفوعا بلفظ آخر، وكذلك الطبراني عن أبي الدرداء مرفوعا، وابن ماجه عن ابن عمر، وابن المبارك في الزهد عن عبد الله بن جعفر]. لذلك ترى أهل المحبة إذا غشيتهم ظلال الكائنات وسعدوا بالميل أيقظتهم واردات الحق أو إشارات الإلهام أو برهان الرب جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَاهُمُ بُرْهَانَ رَبِّهِمْ﴾ (يوسف: ٢٤).

وحكمة ذلك أن الحقائق لا تفقد ولكن تعطل عن مقتضياتها، فقد تعطل النفس

بقوة سلطان الحس والجسم، وقد يعطل الجسم والحس إما بزواجر العناية والتوفيق، وإما بإشراق أنوار البصيرة، وأهل التمكين أقل مراتبهم النفس اللوامة وأعلى مراتبهم الروح القدسية، وغيرهم أعلى مراتبهم النفس اللوامة وفوقها النفس المطمئنة فالروح القدسية وأدنى مراتبهم النفس الأمارة بالسوء، والحقائق لا تخفى على ذى بصيرة، والسالك على الصراط المستقيم حذر، والمشتاق مترعج، والمحِب ساكن القلب إلى حبيبه.

نهايات الواصلين وكمالات المتمكنين

خير غذاء يتغذى به المؤمن العلم، حتى يحصل اليقين، فيكون له خير غذاء بعد اليقين الفكر، حتى تحصل له السياحة فى الملكوت، فيكون خير غذاء له الذكر حضوراً لأنه ينفعه قال تعالى: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥). حتى تحصل الرعاية حضوراً ولديها يكون خير غذاء الشهود بعد الذوق لأن من ذاق سلا غير ما ذاق حتى يتخلق بالأخلاق، ولديها يكون خير غذاء الاتحاد بالخلق جل جلاله، وليس بعد الاتحاد مقام إلا الفضل الأكبر، منزلته البوادة العلية التى تصول على القلب من الرب بعين اليقين أو حقه، وهو الفرد الذى انطوت النبوة بين جنبه، أهل حللة الوراثة بحسب سابقة الحسنى، وأكملها حللة المحمدية مجملة بالحللى الأحمدي قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ١٦٤)، وهى نهاية الواصلين، وكمالات المتمكنين، ولا نهاية لتلك الكمالات سر ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ^ط﴾ (الذاريات: ٥٠) بداية، ونور ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قَرِيبٌ أَنِ يُجِيبَ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢٠ - ٢٢)، قرآن مجلى الذات فى لوح هيكَل المطلوب للذات، المحفوظ بالعصمة حقاً، أو بالحفظ رفقاً قال تعالى: ﴿وَمَنْ

يَعْنَصِمُ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ (آل عمران: ١٠١).

المتمكن

يتجاوز بادية الإلحاد عبد مراد اصططنعه الله لنفسه، ورضى عن الله في قدره وأسلم له وجهه لانشرار صدره وهذا هو المتمكن، وحاله بين الوفا والصفاء، فهو عامل بظواهره وفاء بالعهود، وحاضر بباطنه في غيبته عن الوجود، محفوظا بسياج العصمة في حصون الحدود ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (البروج: ٢٠).

مقتضيات البشرية عند أهل التمكين

مقتضيات البشرية عند أهل التمكين بها الفضل المكمل للرتبة، والشهود العيني الذي يفاض بلا قرابة، وكم من نائم متحقق بالعبودة، وآكل مشاهد في أكله وجوده، وإنما مقتضيات البشرية رموز لغوامض الكنوز، فهي النجب الموصلة إلى المقام بأسرع مما توصل القربات من المجاهدة بالصيام والقيام.

أهل المحبة وأهل الإنعام

أهل المحبة يؤانسون في مضاجعهم، فكيف وهم مولون وجوههم إلى الله في تواضعهم؟! أهل المحبة ووجهوا بالوجه الجميل، فلم ترغ أبصارهم، ولم تطغ. وأهل الإنعام طمعوا في نيل ما شهدوا له مثيلاً، فسارعوا إليه، وسواه لم ييغوا، وشتان بين من واجههم الله بوجهه؛ فسكنت إليه نفوسهم، وبين من شوقهم إلى النعيم فصح به أنسهم.

الأنس

الأنس على بساط المنادمة حظوة عليّة، وفيها يظهر أهل الكمال، ويخشى أهل

الوصال، والعلم ما فيها من التترل الجمالى والظهور الرحمانى، بعلمهم بقدر أنفسهم، ولأن المتفضل ملك مطلق، عناية بك، وإيناسا على بساط منادمتة على قدرك ومترلتك.

فانبسط إذا انقبضت سرورا بما واجهك به من أعظم نعمة عليك حيث اعتنى بك وقربك به، واجعل البسط في قبضك حصن أمنك، وانقبض في بسط سياج أدبك، وكن أكمل الناس تشبها بالمرشد في تلك المقامات ليدوم لك الصفا.. والله أعلم.

الذكر والذاكر والمذكور

الذكر في مقام الأنس

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف: ٢٤).

لطيفة الروح في الإنسان - إن لم يكتب الله تعالى الإيمان في قلوبنا ويؤيده ويحبينا في الإيمان - لا تقوى أن تنفذ من ظلمات الحس وظلال الوهم والخيال وظلمات النفوس من الأمارة بالسوء والسبعية والشهوانية، ولذلك فإن كل ما تفضل الله به علينا ما يشغل به تلك القوى بزخارفه وزهرته فيحجب الروح عن مطالعة الغيب المصون في تلك الحقائق. فإذا تفضل الله تعالى على العبد بالهداية جعل له نورا تنكشف به الحكمة في إيجاد تلك الأنواع المبينة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). فيشهد السالك بعين بصيرته ما في وجود الكائنات من أنواع القدرة وأسرار الحكمة، فكانت لما فيها من مكنون العلم وخفى الأنوار، ولديها يذكر الله حضورا وشهودا ووجودا وهو الذكر الحقيقى الذى به يذكرنا يقول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به أمته لأنه ﷺ حاضر ويتلقى القرآن من لدن حكيم

عليهم، وإذا تفضل الله على العبد بهذا المقام العلى جذبتة محبة الله تعالى إلى مقامات القرب ومنازلات الحب فأنسه على بساط مؤانسته، وأكرمه على موائد كرامته. قال تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (الكهف: ٢٤). ولا ينسى الإنسان تلك الحجب الكثيفة بل ولا الحجب اللطيفة إلا بالجهاد الفادح، ولا جهاد إلا بسابقة الحسنى، والجهاد اسمه معلوم ومسماه مجهول، فإن الجهاد جهاد هذا المقام وإن كان يدك الأطواد إلا أنه أنس وبهجة، والأنس بالله أعلى مقامات المقربين وفيه تكون المواجهة والمحادثة قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢). ولا يكون الذكر ذكراً ينال الذاكر منه ذكر الله تعالى إلا في مقام الأنس، ومن أنس بالله نسى ما سواه ومن سواه فيرفعه الله من العندية إلى اللدنية.

منازل الذاكرين

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢). متى ذكرته فأنت محب، ومتى سمعت ذكره فأنت محبوب، والخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

الذِّكْرُ ذِكْرَانِ ذِكْرُ الْقَلْبِ وَلِسَانِي هُمَا مَقَامَا شُهُودِي دَارُ رِضْوَانِي
فَذِكْرُ فُؤَادِي رُؤْيَا أَلْوَجْهِ ظَاهِرًا وَبِاسْمِ الَّذِي أَهْوَاهُ ذِكْرُ لِسَانِي
وَعِنْدَ شُهُودِ أَلْوَجْهِ بِالْقَلْبِ يَحْلُو لِي شَرَابُ الْصِّفَا مِنْ حَضْرَةِ الْقُرْآنِ
فَاذْكُرْهُ لَاعْنِ حِجَابِ وَغَيْبَةٍ وَلَكِنَّهُ ذِكْرٌ بِهِ رُوحَانِي
فَرُوحِي تَشْهَدُهُ وَكُلُّ جَوَارِحِي تُرْتَلُّ هَذَا الْإِسْمَ حَالِ عِيَانِي

وَلَمْ يَكْ ذِكْرِي ذِكْرَ مَنْ غَابَ أَوْ سَهَا وَلَكِنْ هِيَامِي لِلْحَبِيبِ دَعَانِي
 ذَكَرْتُكَ يَا مَنْ قَدْ رَأَيْتُكَ بِصِرَتِي وَأَسْمَعْتَنِي ذِكْرِي بِنِعْمَاتِ رَحْمَانِ
 فَكُنْتُ أَنَا الْمَذْكُورَ فِي حَضْرَةِ الْخَفَا يُرَدِّدُ ذِكْرِي وَاحِدٌ صَمَدَانِي
 وَهَذَا هُوَ الذِّكْرُ الْحَقِيقِيُّ يَا أَخِي بِهِ تَظْهَرُ الْأَنْوَارُ لِلْإِنْسَانِ
 لِسَانِي يَقُولُ اللَّهُ وَالْقَلْبُ شَاهِدٌ جَمَالَ الَّذِي قَدْ قَالَ ثُمَّ لِسَانِي
 لِسَانِي يَقُولُ اللَّهُ وَالْقَلْبُ حَاضِرٌ بِحَضْرَةِ مَذْكُورٍ بِقَوْلِ لِسَانِ
 لِسَانِي يَقُولُ اللَّهُ وَالْوَجْهَ مُشْرِقٌ بِأَنْوَارِهِ مِنْ ظَاهِرِي وَجَنَانِي

الذاكر هو المذكور

قال ﴿﴾ في الحديث القدسي عن الله عز وجل: " لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْأَوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ لِسَانَهُ الَّذِي يَنْطَقُ بِهِ.. الخ" [رواه البخاري وأحمد]. فيقتضى أن يكون الذاكر هو المذكور بفناء العبد، أى فناء الجهة البشرية

عند التجلى قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مُوْجِهَةٌ﴾ (البقرة: ١٤٨). وفي الحديث القدسي: (مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) [رواه مسلم والبخاري]. فالنفس عبارة عن الوجود، والذكر عبارة عن الشهود. وذكره لعبده مدده الذى به

السعيد مسعود. قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِهُمْ أَنْفُسُهمُ﴾ (الحشر: ١٩). وفي الحديث: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ) [رواه أبو المظفر بن السمعاني عن يحيى بن معاذ] فقدم في الحديث معرفة النفس على معرفة الرب، والمراد بها الوجود، فمن عرف وجوده أنه وجوده فقد عرفه بلسان الخصوص، وبلسان العموم.. من عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى. (وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَكَةٍ) أى: ومن ذكرنى في مَالٍ ناظرين بالفرق (الكثرة) ذكرته في مَالٍ مشاهدين بالجمع (الوحدة) فهم عبيد حضرة

الإطلاق، أولئك شهدوا في نظرهم الكثرة فحجبوا عن شهود الوجه، لأن شهود الخلق من غير حق فرق أول وضده الجمع، والفناء في الله بالكلية جمع ثان، وشهود حق وخلق معاً فرق ثان، وهو محط أهل الكمال، فمن رأى الخلق ظاهراً والحق باطناً كان ذا عقل، ومن كان بالعكس كان صاحب عين، وصاحبها هو الذى يرى الحق في الخلق، والخلق في الحق، ولا يحجبه شهود أحدهما عن الآخر.

أنوار العرفان وبروق الاتحاد

أنوار العرفان تسطع في الغياهب ، وبروق الاتحاد تلمع في بادية الإلحاد فتمحق الأعداد وتستر الأفراد، ويكون المبصر بها قد برق بصره وخسف قمره وأسفر صباحه وقاربت الشروق شمس، وهو فيها إما آنس مؤانس أو قرين مجانس، وإنما يكون الأنس بنفخة القدس والمجانسة الجلية للروح الملكية.

شنان بين المقام والإلهام

إذا تكلم فأنطقك سكت في نفسك عنك، ونطقت به لغيرك، فسمعت آذان الأرواح من الفتاح فكنت وأنت في رتبة إنسانيتك قائماً بقيوم، ناطقاً بمبين، فإذا أسدلت الستار على مبعث الأنوار فأنس في هذا المقام بالعبدية، حتى تسمع منه لك فوق ما أسمعت غيرك، فتكون مستمداً من روحانية الروح الكلية، مجملاً بجمال أهل خاصة خاصة الخصوصية من فيض وراثة الحبيب في مقام قريب.

إن لم تكن بلغت هذا المقام فإنما هو إلهام ينفعك الله به، وينفع غيرك، وحصونه الأدب، ومفاتيحه حب الرحمة، وغيوثة مطابقة الفرد، والاتباع للحجة القائمة، أو لخاتم المرسلين ﴿﴾.

الدعوة إلى الله

بمقدار المدعو لا الداعي

إذا كان لا بد في استبانة الآثار من شمس النهار، وأنت تعلم مكانتها علواً، وقدرها إضاءة وسمواً عن أن تواجهها الأبصار فكيف بالشمس التي تبين الآيات والأنوار للخيرة الأطهار؟!

ينكشف العقل إن واجهها عن أن يدركها، كما ينكشف نور البصر عن مواجهة الشمس، وشتان بين كوكب يبين الآثار، وبين مثل أعلى تشرق به على القلوب والأرواح الأنوار، وليست كل عين تنظر تلك الأنوار وإنما هي نعمة الله وفضله للأخيار.

استر نعمة اختصك الله بها عما سلبها منه، واحفظ أدبك من أن تكون سبباً في تكذيب الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨). فلا تواجهن غير المتمكن بما لا تقوى عليه الأرواح مما أعدّه الله من فيضه الأقدس، فلا تبج به لأهل العقول ممن اكتسبوا العلوم، وأعلن شكر الله على ما تفضل به عليك وما أوصله من الخير إليك في الدعوة إلى الله بمقدار من تدعوهم لا بمقدارك، وانظر إلى الحكمة في وعد الله عباده بنيل حظوظهم وشهواتهم تنزلاً على قدر عقولهم، ووعيدهم بحرمان المشتتهات واللذات إذا خالفوا رحمة ربهم، فالوعد ينشرح به صدر السالك، والوعيد ينجذب به قلب المنكر، وإلا فالجبار يضع قدمه في النار فتقول: قط قط، ذق تلك الإشارة تفهم سر الوعد والوعيد، وأهل الله على بساط الأنس مع الله وكلهم خشية ورهبة، وافهم حديث عمر الموقوف عليه "نِعَمَ الْعَبْدُ صُهِيبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعِصِهِ"، [رواه أبو نعيم في الحلية]. وافهم قول أبي بكر بعد أن أدخل

الجنة يقيناً بخبر الصادق (أَنَا لَا أَمَنُ مَكْرَ اللَّهِ وَلَوْ إِحْدَى رِجْلَيَّ فِي الْجَنَّةِ) لم يرد
عليه السلام بالمكر إلا عواطف المحبة، ولطائف المودة، وواسع الحلم، وللرجال أذواق في
إشاراتهم، وشهود في تلميحاتهم، أسأل الله أن يذيقنا هذا الشراب الطهور إنه مجيب
الدعاء.

الباب الثانى

منهم ومشاهدات: وإخوان أهل الصفا ومعاملتهم

الحكمة والحكيم:

الحكمة جواذب تجذب النفوس الصافية إلى الحكيم جل جلاله، وهى سواطع أنوار النفخة القدسية شوقاً إلى حضرة القدوس، وإنما يؤتى الحكمة لينتفع بها في عصره من آتاه الله الحكمة، وإنما ينتفع من أوتى الحكمة بالاتحاد الحق، وينتفع أصحابه فيه بالخير الكثير، ومتى تحصل المستمعون للحكمة على الخير الكثير حصل منهم الذكر الكثير، ومتى فازوا بالذكر الكثير تحققوا بشهود الواحد جل جلاله الماحى للكثرة، وهو الخير الحقيقى بالذات، ولا ينال الخير الحقيقى بالذات إلا بالخير الموهوب منه وهو الحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

الحكمة ظل القدس عن الحكيم، ومن ظلله الله بالحكمة، وصفه بصفة من صفاته، وأظهره ليظهر مكنون آياته ولديها تلوح أنوار تجلياته، فيكون السامع للحكمة المتحقق بها شاهداً آيات الله بكل جراحة مجترحة من أعضائه، قائماً لله بما يحبه ويرضاه به جل جلاله، حاضراً مع الله، سامعاً بسمع منه جل جلاله، ناظراً ببصره إليه جل جلاله، وكفى بذلك شرفاً لمن جملة الله بظل قدسه فأجلسه على بساط أنسه، وإنما الأنس في صحبة الحكيم أنس بالحكيم جل جلاله، وما تقول في رجل يأنس بالله وهو في رسم مبناه، ويواجه وجهه الكريم وهو أسفل سافلين،

لديها يقول أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ أَسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾
(الرحمن: ٣٣). السلطان هو الحكيم.

تعليم الحكمة

ينقسم تعليم الحكمة إلى خمسة أقسام:

أقوال، وأعمال، وأخلاق، وآداب، وأحوال.
فالقول: ما قاله القرآن ورسول الله ﷺ، والعمل: ما ورد عن رسول الله ﷺ وعن أئمة الهدى الهداة المهديين إلى آخر الزمان، والأخلاق: هي ملاحظة المعلم أن العلم لنفسه وإلا يرد حجة عليه، وحصن التعليم هو الحلم والصبر والصفح والعفو عن الجهال والمعاندين وخصوصاً في وقت العلم وصوله السيادة على المعلم، وحكمته التخلص من الأشرار ولو باعترافه بالجهل، والآداب: هي أن تكون معلماً ومتعلماً في آن واحد، والأحوال: هي أن تتجرد من كل حول وطول وعلم وتنتظر ما يرد على قلبك من الواردات، فإن لكل قوم دواء يورده الله على قلبك لا يعلمه إلا الله ويجهله المعلم والله أعلم.

سر البدين

حكمة الملك إنما كان لتظهر المعاني فيه بالكدح، والملكوت إنما كان لتظهر المعاني فيه بالمدح، ففي طور الملك تشهد الأنوار بالمجاهدة، وفي طور الملكوت تشهد الأنوار بالمواجهة، ولذلك يضمحل الملك في الملكوت، لانبلاج أنوار المعاني جلية بالمواجهات، والاستغناء عن المجاهدات، وليس العدم للملك بعدم وإنما هو اندماج

في حقيقة كلية هو صورتها قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (الأنبياء: ١٠٤). فبدأ أول الخلق بالمواجهة، وأعاده إليها لا فرق بين الكافر والمؤمن، ولكن هذا سمع من الملك فقبل، وهذا سمع من الملكوت فأبى، والسماع من الملكوت لا ينتفع به السالك، إذ الحقائق لا تنعدم، ولكن يفنى الصور في الحقائق، والحكمة تتضح جليلة في طور بعد طور قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٤).

القرب به له سبحانه

قربك به منه بطون لك فيه، وظهور له به ولك به فيك، وقربك الحسى بك من حيث الاستدلال نأى عنه، وظهور لك في عينك بغير حقيقتك، وهو هو الظاهر له به ذاتاً واسماً، ولك تأثيراً، وهو الحجاب الذى هو أنت في عينك، وبعدك الحسى بطون لظهوره، وخفاء لظاهره، وهو هو الظاهر له به من حيث غيبتك عن علم من أنت حقيقته، وهو الستر المعبر عنه بالكفر، لأن الهوى غالب على السمع والأبصار والأفئدة فحرمها من التفكير في الآثار. وخير الأمور الوسط، وهو أن تعلم حقيقة أنك شىء مذكور به له، وأنه الواجب الوجود الظاهر بأسمائه ونعوته حقيقة له، واعتباراً لك من حيث تقييدك، فهو سبحانه ظاهر لا يخفى، وباطن لا يدرك، وأنت ثابت به له، معدوم بك لك، والحال يحول ستارة الأوهام كما يذيب حر الشمس برد الماء، ومتى هبت نسيمات القدس من أرجاء حظيرة الأنس، انتعشت تلك الروح القدسية، في مضايق العوالم الناسوتية، وترنمت بأشجان الميل إلى مكانة التزلات الربانية، فغاب الحس، وانمحي اللمس، واختفت الآثار بأنوار الأسرار، هنالك يترجم اللسان ولا ملام، وتباح العبارة، ويؤمر بالإشارة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ،

مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ (الصفات: ١٦٤). ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١). الحمد لله على القرب به له سبحانه، والفتح منه والإقبال والقبول، وصلى الله على عين كمالات العين، وسر جمال الأحد، صلاة بها نشرب من أنهار معارفه شراب العلم النافع، والتوفيق والإخلاص يا رب العالمين، أجب دعانا يا مجيب الدعاء.

الإقبال

من الإقبال عليك إعانته إياك بالإقبال منك، والشرط تابع للمشروط، فأدم إقبالك عليه، واقل مراتب الإقبال ترغب فيما لديه. وإن نازعتك نفسك يا بني أن تأنس بإقبال الدنيا والآخرة عليك فبين لها أن ذلك بتوفيقه لك، ومعاونته على الفرار مما سوى الله، حتى تعلم أن حظها لا ينال إلا بالإقبال عليه جل جلاله، واجعل شرك الأخص مرآة مصقولة لمواجهة قدس العزة والجبروت، واعلم أن بقية قواك لا تنفك تنازعك لأنها جاذبة لك إلى مقتضياتها، والمخلصون على خطر عظيم، حتى يخلصهم له، فيختطفهم إليه، ويجذبهم بيديه، وكلتا يديه يمين.

الفرار من الوجود بصولة الشهود

لا تفر به إليه إلا إذا فزت بما لديه، فإن فرارك من الوجود بصولة الشهود. فإذا أحبك قربك، وإذا دعاك هداك، ومن طهوره سقاك، وتوفيقه وعنايته والاك، فاسلب وجودك الذى حجبك عن مطالعة غيبه، يريك آياته في نفسك وفي الآفاق، فتراه أولى بك من نفسك، وأقرب إليك منك، وتراك مظهرًا لظهور معانيه، ورقًا مسطورًا بسوابغ أياديهِ، وهو الظاهر والباطن والأول والآخر، وهو على كل شيء قدير.

المحبة

المحبة بدءاً مواجهة روحانية في الوطن الأول، اجتمعت عليها الأرواح واثلتفت، فلا تطمئن إلى جمال غير جمال الحق، حيث رأت جمال اللون الحاضر فلم ترض به، ثم عرض عليها جمال الملكوت فلم تلتفت إليه، ثم عرض عليها جمال الجنان الثمانية فلم تلتفت، ثم جمال أسماء الجمال، وجمال أسماء الجلال، ثم جمال أسماء الكمال، ففرت من الكون إلى العين، وهو جمال مجلى الذات الأحدية، وهم القليلون أمام تلك الحضرة، جنود عنده، ما تعارف منها اثتلف، وما تناكر منها اختلف، فإذا خرجت تلك الأرواح في هذا الكون، عرض عليها كل ما رآته في تلك الجمالات أزلاً في عالم الحسن والجمال، فظنت أنه هو الجمال الذي عشقته أزلاً، فجذبت فلم تجد أنسها ومطلبها حتى تقع العين على صورة العارف الرباني، فاطمأنت وفارقت الكون، وأحبته حبا فارقت فيه كل حبيب حتى نفسها، فواجهتها حضرة الذات في مقام الخلافة الكلية والصورة الكونية، قبل أن يظهر الحس والعقل والروح، فتكون عين وأذن لتلك الصورة المقدورية ترى بها وتسمع بها، حيث إنها فنيّت بتلك الصورة عنها فصارت مرآة لها، لأنها في الحقيقة أسرار الذات.

ظهور الحق

ظهوره لك بوصف من أوصافه فيك وفي غيرك جواذب عناية ومعراج للوصول إليه، فكن حاضر القلب إن هذا الظهور ليس لك، إنما هو المحبوب الأول حيث تشبهت به وأحسن التبع له، فاحذر أن تغتر بظهوره فتنسى ميزاب هذا الخير، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب من أحبههم ويظهر في قلوبهم، فتصير حيث يشاء، وكيف يشاء، وبما يشاء، فكن في القلب الذي ظهر لك به منك فتدوم تلك المواجهة، وقد تعقبها بالمنازلة، فالمعاني، فالأخفى، فالاتحاد عن الغير بوقوع العين

على العين من غير بين، والله ذو الفيض. ائنس به سبحانه في كل شيء، فإذا لاحظت الآثار وشغلتنك الأغيار فارجع إلى الجهاد قبل البعاد، أمرتك بالرجوع إلى الجهاد فاحذر أن تنسى صافي موارد التوحيد، وعلى مشاهدته في جهادك، فإنما الجهاد ليصقل المرأة، لتظل بنور من تهوى، والحق جل جلاله لا بعد ولا قرب، بحسك حضر، وغاب بعقلك، وهو الظاهر والباطن.

حكمة القلب

القلب موجه إلى جهات أربعة: إلى الملك والملكوت، والعزة والجبروت. فبنور العقل يشهد الملك، وبنور الإيمان يشهد الملكوت وهو الآخرة، وبنور اليقين يشهد العزة وهي الصفات، وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهي الوجدانية. والجبار تعالى فوق القلب محيط به، يكشفه بما شاء، فيغلب عليه وجد ما أشهده، وضعف اليقين قد يدخل في كل شيء، وقوة اليقين تحتاج إليها في كل عمل، وإلا فهو دنيا يُهتدى إليها بنور العقل. فمن لم يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير، فاستهواه الملك الصغير، فأحب لا شيء، فلم تكن همته بالعلوى، ولا عنده من الأعلى شيئاً.

عيون الروم

إن للقلوب آذان ولكنها لا تسمع إلا من ألسنة القلوب، ولها عيون ولكنها لا تبصر إلا بعد ظهور الغيوب، وللأرواح عيون ولكنها لا تبصر إلا بالبصير إذا سعدت بموالاته العليم الخبير، فمن أبصر بالقلب شهد الآيات، ومن أبصر بالروح شهد ما لم يبين بعبارة ولا بإشارة، وهذا مقام تسجد عنده الأرواح فكيف بحال الأشباح، وإنما هي سواطع أنوار تخطف الأبصار وتتجلى للبصائر، وإنما ترى الحق إذا نفذت

من محيط الخلق. ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٠-٢٢﴾.

أهل الاجتناء

أهل الاجتناء في الجلوة الخاصة شغلتهم العندية عن شهود الآيات الحلية، وإنما تشهد الآيات في الجلوات لمن لم يتجردوا عن الآفات. لم يشهد أصحاب رسول الله ﷺ الملائكة التي أنزلها الله لأنهم شغلوا بعندية رسول الله ﷺ عما أولاه الله. الروح في جلوة الاجتناء في بهجة الشوق إلى اللدنية فكيف تشهد آيات كونية، وإنما تبين تلك الآيات لمقتضى تلك المكانة التي لا تشغل الروح عن اتحادها والإقامة لها حكم، وما للمجتبى في مقام الاجتناء وللشئون ومقصده الرضا. والمراد فإن عن مراده بمراد من أراده، وهو في حالة جلوة الاجتناء كله سمع وكله بصر لأنه في مقام عيان يحق البيان وقرب يسلب الفصل، وكفى المراد شرفاً أنه أريد وطلب وأسعد بالخطوة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. قد سدت كل خوخة في مقامات الاجتناء إلا خوخة أبي بكر، وكان حظه أنه أريد واستحضر فحضر، وليس فوق هذا المقام إلا الفناء عن كل مقام ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨). ومعية الله نهاية الوصول وغاية المبتغيات.

أهل اليقين

أهل اليقين هم كون في كون بهياكلهم، والمشهود المكون بلطائفهم، محق اليقين الحق الأباطيل والأوهام، ووقع بهم على حق اليقين، سكوتهم كلام لمن فقهوا، وكلامهم نور لمن وصلوا، يجدد الله بهم أمور دينه سبحانه، ويحيى بهم معالم سنته، وهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، هداة أمناء في الدنيا، وشفعاء في الآخرة، ظهر

لهم الجميل فعشقه لجمال واجهوه، ثم بطن عنهم فتألهوا به، فهم بين وله بمكانة
أحذية وبين هيام بجماليات إلهية، وهم العبيد الصادقون، والأفراد المخلصون، لهم
يشتاق العارفون، ويحن لهم الصديقون.

الفصل الثالث

إخوان أهل الصفا

الإخوان

اصطلح أهل الطريق على تسمية المريدين بالإخوان، ولم يكن هذا الاصطلاح إلا مستنبطاً من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فليس مجرد اصطلاح وضع لصدفة، بل هو مؤسس على أساس شرعي، ولما كان لا يتحقق بمعناه الشرعي، ويظهر بأجلى مظاهره إلا في أشخاص المريدين لطريق الله تعالى، الراغبين في القرب منه سبحانه، الطالبين النجاة من مقتته وسخطه ومن شر اليوم العبوس القمطريري، وهم الذين آمنوا بالغيب، وأقاموا الصلاة، حتى بلغ من إيمانهم بالغيب التسليم لله ورسوله وللعلماء بالله تعالى فيما يظهر لعقولهم سببه، وما يخفى عليهم من الإيمان بالله تعالى، وأسمائه وصفاته، وملائكته، ورسله وأيامه سبحانه وتعالى، والتسليم بمعاني الصفات، حتى صار خبر الصادقين عندهم فوق مشاهد المحسوسات، هؤلاء هم المؤمنون حقاً، الذين حكم الله تعالى عليهم في محكم التنزيل بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠). وحكم عليهم رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح إسناده، المقبول متنه، بقوله: (الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ) (رواه أبو داود في كتاب الأدب الباب ٤٩). فأهل الطريق أسسوا طريقهم على صريح الكتاب وصريح السنة، فالإخوان وإن تباينت أشباحهم، وتباعدت أبدانهم، واختلفت مراتبهم، وتعددت مشاربهم فهم جسد واحد في عين الله تعالى، وعين رسول الله ﷺ، اختلفت أعضاؤه، وتباينت خصوصيات الأعضاء ولكن لكل عضو وإن تباين عن الآخر خصوصية وعملا، فعمله خاص على النفع العام لجميع البدن،

ووجهته منحصرة في دفع المضرة وجلب المنفعة للجسد، فقد تميّط اليد الأذى عن الجسد فتؤلمه، مع أنها تجلب له ما به لذته وسروره، فالأخ وإن آلمك فعله فإنما يريد لك الخير الحقيقي والسعادة الدائمة، الإخوان حصون في الشدة، وجمال في الرخاء، وكنوز عند الحاجة، وبهجة في الراحة.

الإخوان صفت سرائرهم، ونزع الله ما في صدورهم من غل، فهم على سرر المواجهة متقابلون، شهدوا الله بتراحمهم بينهم في بعضهم، وجلّيت معاني صفات جماله لتعاطفهم بينهم في أنفسهم، ألم صغيرهم ألم لجموعهم، كالجسد الذي إذا مرض عضو منه مرض كله، الإخوان إكرامهم إكرام الله ورسوله، وزيارتهم قرب من الله ورسوله ﷺ، ولا يتحقق مؤمن بالإيمان إذا لم يحب لأخيه كما يحب لنفسه. إن الله قد يكون ثالث أخين اجتماعاً له، وثاني أخ سعى في نفع أخيه. لم تكن معاملة الإخوان للإخوان، إنما هي معاملة الله سبحانه في ذات أخيك، ما الذي دعا أهل الطريق أن يشددوا في تلك النقاط مع قهاونهم بكثير من الواجبات؟!

دعاهم إلى ذلك أمر عظيم، وهو اتصال نسب العبد بالرب بتخلقه بأخلاقه الجميلة من الرحمة والحب، والعاطفة والمودة، والحنانة والرأفة، والعطف والسماح والمغفرة، التي هي عنوان على أن العبد يحمل بجمال سيده، ومحلى بحلل مولاه، ومفطوراً على الخير والنفع، ومجبولاً على البر والإحسان، وكفى الإنسان مجداً وسعادة وقبولاً أن يكون مجملاً بهذا الجمال، وهو الوصل والقبول وإن فاته غير ذلك، فإذا تجرد الأخ من تلك المعاني فهو إما أن يكون متصفاً بأضدادها، أو مجرداً من كل معنى من المعاني، فإن كان متصفاً بأضدادها فليس بأخ للمؤمن، لأنه أخ للكافر، وإن تجرد من تلك المعاني فقد انحط عن رتبة الإنسانية، فكيف يتكامل بتلك الفضائل والجماليات الربانية؟!

الأخ إذا لقي الأخ صار له أربع أعين، وأربع آذان، وأربع أيدي، وأربع أرجل،

ولسانان، وقلبان، وحالان، وجاهان، فتزيد قوته، وينمو علمه، ويتجدد عزه وشرفه ومجده، فكيف يكره الإنسان أن يكون له مائة وجه، ومائة عين، ومائة أذن، وقد يكون الأخ تاركاً لما يجب عليه محافظاً على الأخوة، فيأتي أخوه يوم القيامة فيشفع له عند الله حتى يدخله الجنة، قال ﴿﴾ من حديث طويل: (فَإِنَّ لِكُلِّ أَخٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

الأخ إذا صلح صلح به كثيرون، وإذا فسد فسد الجميع، والأخ عضو من أعضائك، فإذا مرض العضو فعالجه، فإنك به قوي، فإذا قطعت كل عضو مرض أصبحت عدماً، كل أخ مطالب لله ورسوله بأن يجاهد نفسه أمام إخوانه أن يكون على الحال الأكمل ولو كان غير فطرة، خشية أن يراه إخوانه فيقلدونه، أو يفتح عليهم باباً من أبواب سوء الظن به، لا نطالب الأخ أن يكون معصوماً من النقائص، محفوظاً من الزلل، ولكننا نطالبه ألا يجعل الأخوة والنسبة إلى الطريق معينة له على أغراضه الفاسدة، وخصاله القبيحة، فإن ذلك وصمة للجميع، وتغير للخلق عن انتهاج سبل الحق، فيجب عليه أنه إذا قدر عليه أمر أن يستتر عن الخلق، وأن ينكر انتسابه للطريق ما دام موسوماً بتلك الوصمة إذا ظهر عليه هذا العيب، ثم يأتي متظاهراً بالتوبة والندامة والإنابة حتى يعلم الناس لم يكن ذلك من أساسات الطريق، ولا من الأحوال والأسرار، إذا لقي الأخ الأخ ورأى في نفسه انقباض صدر منه، فليحس في نفسه فإن كان ذلك لحظ نفسي جاهد نفسه، وأنواع الحظوظ النفسانية كثيرة منها: حب الشهرة، وحب الأثرة بالسيادة، وحب جمع المال، وكونه على معصية يخشى أن يطلع عليه أخيه، وكونه ادعى دعوة من الدعاوى التي ربما تنكشف لأخيه، أو كونه انتسب لغير أبيه، أو نسب لنفسه ما ليس لها، وإذا كان انقباض صدرك لم يكن لحظ من حظوظك ولا هوى خفي عليك، فأسئ الظن بنفسك، وتكلف البسط له، وجاهد نفسك في إكرامه وإنزاله

منك منزلة عالية، فإذا ظهر لك أن ذلك من مرض في أخيك كان خفياً عليك، أو لسوء حال ستره عنك كوشفت به بلطائف قلبك، ثم ظهر لك بعمله أو قوله فأنزله نفسك منه منزلة الطبيب الرفيق الشفيق، مؤلفاً له، ساتراً عنه ما علمت به خشية نفوره، فإنه ربما نفر فكفر فتكون بعملك هذا أوقعته في أكبر الكبائر، مع أن عيبه ربما كان أصغر الصغائر، وأنت في هذا المقام مسئول به أمام الله ورسوله ﴿مُطَالِبٌ بِنَجَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ أَهْلَكَتَهُ هَلَكْتَ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾﴾ (المائدة: ٣٢).

وإن نجيته نجوت ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢). من قطع رحم مولاه، وقرابة رسول الله ﷺ، التي هي الأخوة بملك الأرض والجنة، لا يكون أهلاً للمنة، كيف وقاطع الرحم مقطوع!!؟

أبذل ما ملكت لأخيك تكون بذلته لملكك، وببذلك يصطفيك الله، ولا يبذلك جهل من استوحش من شهود الحق الظاهر في الأخ وأنس بالدنيا، لأنك ببسطك للأخ، وأنسك به، وبذلك له تقربت لله، وتحببت في رسول الله ﷺ، وبذلك لذات الله، إذا كانت الدنيا أحب إليك من حبك لأخيك والإحسان إليه، أو كانت سبباً في عداوتك لأخيك في الله فلا سبيل للنجاة. الأخ قد يجود بمكانته في الجنة لأخيه الذي سجل عليه النار، ويتلذذ بأن يجعل أخاه في الجنة، ويكون في النار حبا لله ورسوله ﷺ، وقد يبذل نفسه دون مال أخيه، هكذا الإخوة كانت، وبها علت كلمات الله، وانتشرت سنة رسول الله ﷺ.

حقيقة الأخوة

الأخ آخر هو أنت، ومن كان كذلك قدم صالحك على ضرورياته وأنت تقوم له بهذا، فكأن الإخوان كالأعضاء التي اختلفت أنواعها، وكلها تقوم بخدمة النفس، بمعنى أن العين لا تخدم نفسها ولكن تخدم الجسد كله، واليد كذلك، والرجل، واللسان، وكل الأعضاء تسعى في خدمة غيرها بصدق وإخلاص، بدون منة ولا ذكر للعمل التي عملته بل تسعى بجد في منفعة غيرها، بصدق عند اللزوم، وقد شبه رسول الله ﷺ الإخوان المؤمنين بالجسد الواحد الذي إذا تألم عضو منه تداعى له بقية الجسد بالحمى والسهر، فالأخ إنما أُوحي ليكون عضواً عاملاً لخير إخوانه، ودفع المضرة عنهم، ومشاركتهم له في خيره، ومشاركته لهم في مهماتهم بصدق وإخلاص، ملاحظاً يقين أنهم أعضاؤه حقيقة، وأنهم أعوانه، ولولاهم هلك أو احتقر، ويتيقن أن ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، وإحياءً لكلمته ودينه وهذه هي الأخوة، ولقد يقف اللسان أن يعبر عن حقوق الأخوة إلا بما تقدم، والقلب المؤمن يكفيه قليل الحكمة، وإن المؤمن إنما يعامل الله تعالى في صورة إخوانه بالقربات والإكرام والاحترام والتودد والتقرب.

العبد

هو الإنسان الوسط الذي منحه الله نوراً فقه به أسرار كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ففقهها بيقين كامل عن إخلاص وتصديق، فاتقى الله سبحانه بحقيقة التقوى بأجلى معانيها، فأفاض الله سبحانه عليه من أسرار الخفية في نفس العبد وفي جميع الكائنات، علماً به تمكن من معرفة نفسه، وتحقيق بعد التمكن من معرفة نفسه بمعرفة ربه، وبهذه المعرفة ذاق لذة العبودية، وشهد أن العبد لا ملك له، ولا حول ولا قوة، ولا قرار ولا حظ، لأن العبد يسعى في مرضاة سيده، حتى يخطأ كل

الاحتياط أن يقع عليه نظر مولاه وهو فيما يحبه ويرضاه، ولما كان المحبوب لسيدته، والمراد له سبحانه في الغالب لا يكون محبوباً لنفس، ولا مراداً لها، وكشف المراد الحقيقي لسيدته غيب عن عينه وعن قلبه، لأن الغيوب حُظر على العقول والأرواح الإشراف عليها لأن التشوق لها ميل إلى حظ عاجل، ولذة جسمانية، واشتعال بالكون عن المكون، والعبد يخشى مولاه أن يراه مشغولاً بكونيات أو ملتفتاً إلى غيبات، لأن العبد لا يدرى الجلال الحقيقي من الجمال الحقيقي، فقد يكون الجمال الذي يتحققه بأنه جمال بالنسبة لما يناسب طبعه ويلائمه، وهو في حقيقة الأمر عين البلاء والمقت من السيد سبحانه، وقد يعلم الأمر أنه جلال بالنسبة لنفسه وهو في الحقيقة عين الجمال، الذي به كمال رقيه وقربه من ربه، ولذلك ترى العبد يشكر الله عند النعمة خائفاً من سوء العاقبة، ويتهلل إلى الله عند النعمة خائفاً من أن النعمة تكون نعمة، وبزوالها يزول عنه فضل من الله تعالى، إذ حقيقة الرضوان والفضل من الله تعالى لا ينالان إلا بفضل الإلهي، وقد يكون داعيهما ما لا ترضاه أنت، وتبتهل الليل والنهار في صرفه عنك، ولهذا فالعبد دائم الخوف إن شكر على نعمة، أو ابتهل لزوال نعمة، وهو الفرد الآمن في الحقيقة، ولم يكن أمانه لأنه آمن في نفسه من جانب ربه، ولكن لدوام مراقبة غيب مواطن الرضوان، وجفاء داعيات الإحسان، وخفاء عاقبة النعمة والنقمة في هذه الدار الدنيا، ولذلك فأهل الله عبيده المخلصون، امتزج خوف الله تعالى رهبة وعظمة وعلوا بسويداء قلوبهم فلا يزالون يدعون الله رهبا ورغباً، فلا الرهب يحجبهم بكمالات الكبرياء والصمدية والعظمة والعزة والجلال عن كمال الجمال والعطف واللفظ والرأفة والحنان والود والإحسان، ولا الرغب ينسيهم الجبروت، فمقامهم مزيج من رغبة في رضوان وفضل مولاهم، ورهبة من عظيم كبرياء جلال مولاهم، وهم الأقلون عدداً، محل نظر الله من عباده، وصفوته من أوليائه، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ

هُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾. اللهم كما أكرمت فآدم وزد وبارك
وتفضل، فإنك تتفضل على من تشاء، فتفضل علينا بفضلك ورضوانك يا رب
العالمين. و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين.

الفصل الرابع

معاملة أهل الصفا

المعاملة

السالك حقيقة من باشر قلبه اليقين بأن الله سبحانه وتعالى مطلع عالم بسرهِ وعلمهِ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأخفى من ذلك وهو اللطيف الخبير، فإذا ذاق حلاوة اليقين بهذه المشاهدات الإحسانية راقبه سبحانه وتعالى في صغير الأمر وكبيره مراقبة تيقظ، حاضر القلب والفكر معه سبحانه حضور خشية ورهبة ورغبة، ويلاحظ أنه سبحانه وتعالى رضي لنفسه العدل والفضل والإحسان، والرحمة والشفقة، والإكرام والمغفرة، والإحسان والهبة، والإعطاء والمنة، والسماح والعفو، وأمر من أحبه أن يتخلق بها، وإن من تخلق بها تقرب إليه، ووصل إلى ميادين الأنس به جلت قدرته، ومن ادعى حبه، والميل إلى جنبه العلى، أو طلب الوصول إلى حضرته العلية، ونوال رضوانه الأكبر ولم تتوفر فيه الشروط المذكورة فمغرور، وتلك الأخلاق يعاملنا بها الحق سبحانه لا فرق بين بني الإنسان فيها، فجميع جمالاته في تلك الدار الدنيا عامة لجميع أفراد خلقه من إنسان وغيره، والسالك يعامل الله تعالى بها في جميع خلقه، لأنه لا يمكن أن يعامل الحق سبحانه بها، لعلو منزلة الحق تتره وتعالى عن رتبة الاحتياج؛ لا نفاده بالغنى المطلق، ولكنه فضلاً منه وكرماً قبله لنعمه العلية إذا عامل بها عباده مراقبة لجلاله وعظمته، وتخلق بأخلاقه القدسية، ويهب من تحمل بتلك الجمالات جميل إقباله، وجمال إنعامه، وهذه المعاملة لا تحقق إلا إذا صدرت من السالك بدون باعث كوني من مقابلة، أو شهرة، أو علو، أو تقرب لعمل، بل إذا صدرت عن وجد وشوق

للتخلق بأخلاق الله تعالى واستحضاراً لعظمته وحباً في نوال الزلفى عنده سبحانه، فالسالك الكامل من عامل الناس جميعها بهذه المعاملة، وحرص عليها بوجهها الأكمل عند معاملة أهله وأقاربه وجيرانه وإخوانه المسلمين بحالة سجية لا تكلف فيها والله الموفق.

أنواع المعاملات

صلة الوالدين ومن في رتبتهما، معاملة الإخوة ومن في ربتهم، الجيران، أهل البلد، الشركاء، الخلطاء، المشتركون معك في عمل واحد، أو من يجمعهم معك محل واحد في عمل، الأجراء من الصناع وغيرهم، الأجير الخاص، معاملة المرسل إليك، معاملة من يسألك علماً أو عملاً أو مالاً أو جاهاً، من يستشيرك، معاملة من تر عليك حق النصيحة له، معاملة العالم للمتعلم والرشيد للمسترشد، معاملة أهل الذمة، معاملة من له دين على آخر، معاملة زعيم عمل لمن دونه في العمل، كل هذه المواضع العلمية والعملية، إذا صدق بها العامل لله تعالى ينظر بعين الإنصاف فيتزل نفسه منزل الآخر منه لغيره، ثم ينظر الأشياء التي يحب أن يعملها غيره فيه عندما يتزل نفسه بتلك المنزل فيعامله بها بوجه أكمل، ولا يطالب بتأدية الواجب إلا نفسه دون غيره، إنما يحاسب على عمل نفسه لا عمل غيره، وهذه هي الحكمة البالغة التي لو لوحظت عند أفراد الأمة اتلفت قلوبهم، واتحدت كلمتهم، وطالب كل فرد نفسه لعلمه بأن الله تعالى إنما يحاسب كل فرد على عزمه المقرون بالعمل، وهذه الأبواب يطول شرحها، وأحبها علماً والعمل أولى في هذه المقامات من العلم.

الباب الثالث

مراتب السلوك ومنازل الوصول إلى الله

الفتوة وأنواعها

أولاً: فتوة البوادة

إقدام ناتج عنك بالغيرة بعد العلم، يدفع إلى محو الباطل إظهاراً للحق بعد اليقين، والفتى هو من منح كمال القابل للفيض المقدس أو المظهر، وإن كان الإقدام على محو باطل متعزراً في النفس، أو مرغوب فيه بحسب مقتضيات الحظ والشهوة، كان هذا الفتى مؤهلاً لأرقى مقامات الولاية، وإن كان الإقدام على محو باطل هو غير الحق في غير ذات الشخص فإن هذا الفتى مؤهل لأعلى مقامات الوراثة، أو للفيض القدسي وهو الرسالة، فالفتوة في الرسالة قاهرة، وفي الأولياء تكون بلسان حكمة عالية، أو بآيات رسالة قائمة، قال تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى﴾ (الأنبياء: ٦٠). وهذه الفتوة صفوة الرسالة بحسب القابل، وصفاء جوهر النفس، وما ينال بلسان الرسالة قال تعالى: ﴿قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا نَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (الكهف: ٦٢). وهذا الفتى قد بلغ درجة النبوة لأنه يتلقى هذا الحق من لسان رسول الله، والفتوة في مقامات الولاية فاتحتها لسان الحكمة في البوادة الحق، وإنما يتلقى تلك

الحكمة من أخص ورثة رسول الله ﷺ قال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤). مع علمك بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (النحل: ٧٨). ومن منح القابل ولم يتفضل الله عليه بمنح من يبين له بلسان الحكمة لم يبلغ هذا المقام قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة : ١١).

ثانيا: فتوة إخوة يوسف

الفتوة تضمحل في نفس، والنفس سرور، وفضائل آمالها عظام الأمور، وصاحبها محمول على رفارف العناية، ولا تعجب فإن أخوة يوسف دفعتهم الفتوة إلى أن يحجبوا يوسف عن أبيه ليصفو لهم المورد على منهل الحكمة مسارعة لنيل قسط من وراثة الخليل، لأن أباهم يخص بها يوسف من دونهم وهي فتوة، ومن تطبع في سبيل الفتوة بضع وأربعين كبيرة يحوها الله لهم بما علمه في قلوبهم، قال تعالى: ﴿أَقْنُلُوا يُوسُفَ وَأَوْطَرِحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ (يوسف: ٩). أي بما يبلغونه من الحكمة وما ورثوه من مقام الخلعة من والدهم، وكم صغرت الضروريات فضلا عن الكماليات، واحتقرت أعظم المواهب عند أهل الفتوة، ومع ما في الفتوة من وقوع ما هو مخالف للعقل والشرع قال تعالى: ﴿يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠). ما لم يكن هذا الإقدام لحظ خفي على النفس، لذلك بينت لك أيها الأخ السالك أن أسرار الفتوة لا بد وأن تكون بواده رحمانية لمن أهلوا للرسالة، أو بإشارات عليية لوارث له ﷺ لمن أهلوا لأرقى مقامات الولاية، وما تراه يحصل على يد غير المرشد فليس من الفتوة في شيء.

ثالثاً: فتوة أهل الكهف

بينت لك في فتوة البوادة أن المتفضل عليه بما مؤهل أن يكون نبيا أو رسولا، وأهل الكهف إما أن تكون بلغتهم الرسالة بتلاوة أخبار الرسل، أو تكون سبقت لهم الحسنى ولم تبلغهم الرسالة، فإن كانت الرسالة بلغتهم عن أثر من علم فهم أنبياء لأنفسهم، والله ذو الفضل العظيم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣). وقوله: ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ صالح أن يكون بإطلاع أو ببوادة، وأما قوله: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فيض بعد البوادة لأنه نسب الزيادة له ونسب الإيمان لهم.

وَلَيْلُ الْفَتَى الْمَطْلُوبِ فِي جَذْبَةِ

الذِّكْرِ

لِتَطْهِيْرَهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْبُعْدِ

وَالْكَفْرِ يُوفِّقُهُمُ لِلْقُرْبِ

رَبِّي وَالْخَيْرِ

نَهَارُهُمْ سَعْيٌ إِلَى طَلَبِ الْبِرِّ

لَقَدْ خَصَّصَهُمْ مِنْهُ بِسَاطِعَةِ السَّرِّ

أَيَارُوحُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَفْرِيِّ

وَفَرُّوا مِنَ الْأَكْوَانِ فِي الْبِرِّ

وَالْبَحْرِ فَنَاقَبُوا بِهِ عِشْقًا عَلَى

الصَّدْقِ فِي السَّيْرِ

نَهَارُ الْفَتَى الْمَحْبُوبِ فِي

السَّعْيِ وَالْفِكْرِ

عَجِيبٌ مُجَاهِدَةُ الرِّجَالِ

نُفُوسَهُمْ شَبَابٌ

مَقَامُهُمُ الْمَعَاصِي وَغَفْلَةُ

فَنِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ يَذْكُرُ إِلَهُهُمْ

نَعَمْ هُمْ رِجَالٌ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِمْ

أَحَبَّهُمْ حَتَّى أَحْبُوهُ هَيِّمُوا

تَرَاوَى لَهُمْ وَجْهُ الْجَمِيلِ

فَحَيَّرُوا فَأَشْهَدَهُمْ مَا

فِيهِمْ مِنْ جَمَالِهِ

فَلَمْ يُلْهِمِهِمْ حِظًّا وَلَا شَهْوَةً وَلَا
يَقُودُهُمْو الْقُرْآنُ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
تَرَاهُمْ سُكَارَىٰ طُولَ لَيْلِهِمْو
بِمَا لِيَالِيهِمْو قَدْرٌ
وَأَيَّامُهُمْ ضِيَاءٌ عَلَىٰ
سُنَّةِ الْمُخْتَارِ سَارُوا وَفَارَقُوا
قُلُوبُهُمْو قَدْ عُمِرَتْ بِحَقَائِقِ
تَرَاهُمْ نَهَارًا كَالسَّبَاعِ شَهَامَةً
وَفِي اللَّيْلِ مَوْتَىٰ مِنْ غَرَامِ
حَبِيْبِهِمْ لَقَدْ تَرَكُوا
آبَاءَهُمْ أُمَّهَاتِهِمْ وَقَدْ
أَعْجَزُوا بِالْعِلْمِ كُلِّ مُعَلِّمٍ
مِنْ اللَّهِ وَالْإِحْسَانِ فِي كُلِّ
مَوْطِنٍ
مَجَالِسُهُمْ ذِكْرٌ وَفِكْرٌ تَادِبٌ

عُلُوًّا وَتَمَكُّينٌ مِنَ الْأَهْلِ وَالْغَيْرِ
يَنَالُهُمْو مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ ضِيَاءِ
الْفَجْرِ رَأَوْهُ مِنَ الْأَنْوَارِ فِي
لَيْلَةِ الْقَدْرِ
تَجَلَّى لَهُمْ مَوْلَاهُمْو سَاعَةً
الْفَجْرِ
حُظُوظًا وَأَهْوَاءً تَدُلُّ عَلَى السَّرِّ
وَالسُّنَّةِ الْأَفْرَادِ تُنَبِّئُ بِالسَّرِّ
كَمَا أَمَرَ الرَّحْمَنُ بِالسَّعْيِ فِي
السَّيْرِ
سُكَارَىٰ حَيَارَىٰ فِي شُهُودٍ وَفِي
ذِكْرِ
وَقَدْ جَاهَدُوا بِالْحَالِ فِي السَّرِّ
وَالْجَهْرِ
لَا نَهْمُو مِنْحُوا الْحَقَائِقِ فِي
الْصَّدْرِ عُلُومُهُمْو نُورٌ
يُضِيءُ بِلا حَصْرِ
بِآدَابِ خَيْرِ الرُّسُلِ مِنْ مُحْكَمِ
الذِّكْرِ

الفصل الثاني

العناية الإلهية بأهل الكهف

الكهف هو الشريعة المطهرة

قوله تعالى: ﴿فَأَوَّاهٌ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (الكهف: ١٦).

للفنس الأمانة بالسوء سلطان قاهر على كل ذوبها من الخيال والوهم، ومن القوة النباتية كالغازية وغيرها، ومن القوة الإبلسية من الحسد والعناد وكفران النعمة، ولما كانت كل تلك القوى الظاهرة والباطنة التي يجمعها ثمان عشر نوعا، كلها مفطورة على التنازع والتباغض والمسارة إلى العناد والإفساد إذا لم تتحصن بكهف الشريعة بجاذب الجهاد الفادح، والفرد من الإنسان مملكة عظيمة جدا مكونة من ملك متصرف تصرفا مطلقا وهو القلب، ومن وزراء ورئيسهم الكبد فالكليتان فالطحال، ومن عمال مقربين منها برءوس الأعمال كالمعدة، فعمال إفراز الأمزجة ورئيسها المرارة، فعمال تطهير الجسم ويرأسها الأمعاء الغلاظ والدقاق، فعمال المهن الدنيئة كالمستقيم وهو طرف الأمعاء الأسفل والمثانة وغير ذلك، أما العمال الأشراف فجهاز دورة الدم كالأوردة والشرابين، وفيما بين كل هذا حقائق تبهر العقول وتحير الأفكار من بدائع إبداع قدرة الله تعالى، وحكمة كل تلك الحقائق تمثل مملكة عظيمة تمثيلا يجعل أكبر مملكة في هذا الكون مضلحة أمامها، ومع أن الإنسان أضعف الأنواع الموجودة لأنه يحتاج في ضرورياته إلى كثير من الأنواع ومن بني جنسه للقيام له لسد حاجاته الماسة، فإن الله تعالى أقامه خليفة عنه، وسخر له كل شيء ليجمع بين عجزه عن القيام بنفسه لأمس الضروري إليه،

ولينظر ما أسبغه الله عليه من الفضل فيتعرف إلى الله ﴿قُلِ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُ﴾ (عبس: ١٧).

يقول تعالى: ﴿فَأَوْدُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (الكهف: ١٦). وهذا الكهف المحسوس الملموس إشارة إلى باطن الآية، فلا نجاة للإنسان إلا إذا تحصن بكهف الشريعة المطهرة، لينشر الله عليه من رحمته السماوية وفيض الأسرار، وبإلهام الغيوب التي أهله الله تعالى لها، ومن رحمته الظاهرة الكونية، فيوسع له الأرزاق، ويمنحه العافية والسلامة، ويسخر له جميع خلقه، فإذا كان التحفظ بالكهف في الجبل من الملك الظالم لنفسه ولرعيته بقهرهم على عبادته وعبادة غير الله نجاة وحفظا لهم من الموت مع فقد يعوض الذي يتحلل من أجسامهم بحسن نيتهم في قصدهم وإخلاصهم في عملهم، فكيف يكون حال من آوى إلى كهف الشريعة الإلهية؟!.

المبكل هو الكهف

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّهُمْ مَسْجِدًا﴾ (الكهف: ٢١). تحلو الإشارة لأهل الاستنارة، أهل الكهف هي مظاهر معاني الصفات في المشكاة، والكهف هو المبكل والدخول فيه الوقاية من تعدى تلك القوى حدود الله تعالى، فالإنسان السالك متعين عليه أن يلزم الكهف توقيا من تسلط القوى الشريرة الإبلسية وجنودها حتى تقوم الحجة.

سر الحكمة في السلوك والوصول

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ (الكهف: ١٩). إشارة إلى سر الحكمة في السلوك والوصول، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢). إذا جذبت الروح قواها الباطنة من قلب، ونفس، وخيال، ووهم، وحافضة، ومدركة إلى ما تقتضيه مكانتها الروحية بكامل التمثيل والتشبيه، تعطل الحس، وأطفئت نار مقتضى الجسم، وهو مقام الجمع للسالك، والفناء للواصل، والسكر للمتمكن، ويكون الجسم في هذا الحال في كهف التحفظ من سكير نار الإبلسية، ودخان البهيمية، ومقتضيات البشرية، خائفاً وجلاً من أن تعود له الحياة التي تحجبه عما هو مول وجهه صوبه، فإن كانت الجذبة بعامل العقل كان الكهف حساً، والعمل جسماً، وإن كانت بعامل الروح والحب كان الكهف رعاية ناتجة عن عناية مؤيدة لولاية، وهم أفراد أهل الإيمان الكامل، ممن تجاوزوا النظر في الكون وفي النفس، وقد علمت كهفهم، وبعثه هذا قيام للجهاد الأكبر لجيش الباطل فيه، لا لجيش الباطل الخارج عنه؛ لأنه تجاوز هذا المقام بكشف الستار عن حقيقة الدنيا، واحتقارها في نظره، واعتقاده أنها ليست دار البقاء، فإذا بعثهم الله تحفظوا من شر هذا العدو، وشر عدو يجاهدونه (إبليس)، والغرور بنسيان الحقيقة الآدمية الناتج عن نسيان الله تعالى وأيامه، فإذا منحوا عناية الله في هذا الجهاد، برزوا عبيداً لله في كونهم الأول، فجذبهم الله حتى أقامهم عنده، راضين عنه، وهو سبحانه راض عنهم، قال سبحانه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة: ١١٩). وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مریم: ٥٥). وخروجهم من الكهف ورجوعهم إلى

الحياة الإنسانية الفاضلة الكاملة التي هي حياة الجهاد الأكبر جهاد النفس. قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ (الكهف: ٢٠). أي إن يظهروا على أحوالكم العلية، وأسراركم النورانية، يرموكم بأباطيل حججهم، وظلال حظهم وهواهم. ولما كانت الحياة البشرية في أي طور تقتضى التروع إلى ما يلائمها، لأن القوى استوت، وهذا المبعوث يخشى أن تقوى حجة الباطل فيترع إليها الحس والجسم، ويسكن إليها العقل، فيفوز جيش الباطل على جيش الحق الروحاني، فإنهم دائمو الجهاد، يحنون إلى بدايتهم ويسارعون إلى حصون كهفهم، مع أنهم لا تدعوهم إلى ملابسة الكون والفساد إلا الضرورة التي أوجبتها الشريعة، من مناولة لما لا بد لهم منه، وهم مع هذا الجهاد يحافظون على آداب الشريعة، فلا يتناولون من القوت إلا أركاه وأطيبه، قال سبحانه عنهم: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ (الكهف: ١٩). وسالك أو واصل لا تسبق إليه يد العناية لتنشله من وحلة التوحيد في السالك، ومن بادية الإلحاد في الواصل، ومن واحة التيه في المتمكن ربما نسى أو غفل، لأن البشرية لا تفارق أكمل كامل، والبشرية باب هذا السور للعدو اللدود.. حفظنا الله وإياكم يا أخي في سلوكنا وسيرنا إلى الله تعالى، من ظهور جيش الباطل هل جيش الحق، وأمدنا الله بروح منه، يمنحنا بها اليقين الحق، إنه ولى المؤمنين.

قوى النفوس

عند قراءة المقريء قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبٌ﴾ (الكهف: ٢٢). أو أيها الجامع بالحقائق إلى كهف ربك بثلاث نفوس إن شئت

ورابعهم. أو بخمسة نفوس وسادسهم. أو بسبعة وثمانهم متى ارتفعت بجذبة التسليم الأولية عن النفس الجمادية والنباتية، وجاهدت حتى قهرت النفس الإبليسية، وأسلك بالثلاث ورابعهم، مسلك المجاهدة حتى تزكيها وتمنح الرابعة والخامسة وتخدمك السادسة، فإذا لمحت بعيون الشهود ما في الكون المحدود من سر الوجود نفخت فيك السابعة وملكت الثامنة، وتبدلت أرضك بغيرها، وسمائك بغيرها، فنفذت من أقطارها بسلطان شهود ما فيك من باريك، فاتحدت القوى الثمان حتى خضعت للنفخة، ولديها تكون حقاً تحيا في كهفك، فإذا فارقت الحياة بني عليك المسجد. فكتب في صحيفتك عمل من يعمل بآثارك التي أبقيتها، ويفقه كلماتك التي قلتها. ويحييك الله تعالى نورا يبين لمن بعدك ما به تتوالى عليك سوابغ إحسانات ربك وأنت في الكهف العام هيكلًا وفي عليين روحاً، فإذا نفخت النفخة الثالثة - حيث لم تسمع حثيث الثانية ولم تصعق مع من صعق بها - جمع الله هيكلك المحفوظ بروحك الحملة فاتحدت في الآخرة بأفراد الأخيار، ووصلت بهم ومعهم إلى الستار بما جمعت به من الرضوان الأكبر.

وقد تكون النفس الكلية سبعاً كاسراً. قال ﴿﴾: (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك). يعنى ابن أبي لهب، فلطمه السبع فسمي السبع كلباً. وقد تكون كلباً حقيقياً.. وهنا انظر كيف بدلت الأرض والسموات وكيف برزوا لله الواحد القهار.

العناية الأزلية والمشاهد البرزخية

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥). جواذب العناية من سابقة الحسنى لا تجعل الإنسان مجاهداً جهاداً يرفع درجته مع المجاهدين في سبيل الله، ولما كانت العناية إذا سبقت لفئة أو لفرد منحتة

المزيد من أنواع الرياضات والمجاهدات، حتى يفوز بأرقى مراتب المجاهدين، جذبت أهل الكهف عناية الله التي سبقت، ثم أحياهم سبحانه الحياة الكونية بكل معانيها بعد أن أماتهم الموتة الإرادية بالفناء عن وجودهم الإنساني إلى الوجود البرزخي، وفي قوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ (الكهف: ١٩). أحييناهم الحياة الكونية، بلوازمها؛ ليفيقوا فوقة الوجود في مقام الشهود، ليحصل لهم الشهود في مقام الوجود، في مشاهد المثوية بعد الاستغراق في الواحدية التي جذبتهم من حظيرة الملوكية (لأنهم كانوا وزراء) إلى ثري العبودية، و ستر عنهم - سبحانه - سرين عظيمين: سر العناية الأزلية، وسر المشاهد البرزخية، بدليل قوله تعالى: ﴿كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لِنَبَأٍ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (الكهف: ١٩). حتى يكون الجهاد في ستر الخصوصية وحجب المراد، ثم فتح فاتحة الجهاد برد حياة النفس الغذائية، فدعتهم الضرورة إلى أن يغذوها بغذائها، فأمروا من يذهب لشراء الخبز بما لديهم من نقود الفضة المشار إليها ﴿بِورْقِكُمْ هَذِهِ﴾ (الكهف: ١٩). لحكمة هي خاتمة الجهاد الذي نفس منه خير من خمسين ألف سنة من غيره؛ لأنهم كانوا عند الله في أيام الله.

قدر جل جلاله أن يعثر عليهم أهل العصر الحاضر، ليعروهم ما يعرفوا غيرهم عند الصدمة من الملح والجزع، وليعلموا أن قدرة الله صالحة أن تقيم الساعة، بما ظهر لهم من إقامتهم بضع مائة سنة، حتى إذا ماتوا بعد ذلك الموتة العزرائيلية، ماتوا مؤمنين كاملين في الدنيا قبل الآخرة، لأن كشف أسرار القدرة في الآخرة لا ينفع من مات غير مؤمن بها في الدنيا فظهرت الحكمة، وهي أن وعد الله حق، وأن الساعة التي أخبرنا الله بها آتية حقاً، فيموتون مستبشرين بالفوز بوعدهم الله لأهل طاعته، وهذا سلوك من جذبتهم العناية أزلاً، فبادتهم العواطف الإلهية، فأحييت

لطائف قلوبهم، فجذبوا منهم ومن الكائنات إلى الله تعالى محتسين طهور ﴿فَقَرُّوا
إِلَى اللَّهِ﴾ (الذريات: ٥٠). وكذلك يكون السالك إذا منحه الله الجذبة إلى
كهف حصون الشريعة المطهرة، وفي قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا
تِسْعًا﴾ إشارة إلى أن السالك الفاني عن وجوده الباطل، يفنيه الله تعالى عن
الوقوف عند الأسباب وعن النظر إلى أهلها. غير شاعر بجهاده، لاستغراقه في
الخوف من مقام ربه، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الرحمن: ٤٦).

الفصل الثالث

دلائل محبة الله وسر القدر

دلائل محبة الله

دلائل محبة الله :

قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨). لمحبة الله تعالى دلائل تقوم بها الحجة للعبد بأنه محبوب الله تعالى، وأعظم دليل عليها أن يفرغ الله قلب العبد من العمل في شئون تحجبه عنه - سبحانه - وأن يجعل له في قلبه أنواراً تستبين له بها آيات الله في الكائنات في حال عمله الكوني، فيكون في زراعته، أو تجارته، أو صناعته، وقلبه معلق بالرفيق الأعلى، مع رعاية أحكام الله التي أمر بها المؤمن أو نهاه عنها، وهؤلاء هم أفراد الله وضائنه الذين أفردهم الله لذاته، وقد بلغ من منزلتهم عند الله تعالى أن أمر حبيبه ومصطفاه ﴿﴾ أن يصبر نفسه معهم، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرْطًا﴾ (الكهف: ٢٨) هذه الآية بينت ما للمقبلين على الله تعالى، الذين

يذكرون الله ذكراً كثيراً بقلوبهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨) لأن الإرادة والعزم والاختيار من أعمال القلوب، والدعاء والتضرع والابتسحال من

أعمال القلوب والجوارح، ولا يشتغل بالدعاء إلا من قام بالفرائض، وسارع إلى الله، وذكر الله تعالى بكل جارحة من جوارحه، بقدر ما يجب عليها من التضرع، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يصبر نفسه معهم، لأنهم كانوا من أهل الله في الدنيا، وأهل عنديته يوم القيامة. وهذه الآية من الفيض المدار على قلوب الأخيار، وهى ميزان المقامات، وميزان الفيوضات.

سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩).

هذا بيان من الله تعالى لولي الرسل ﷺ، لأنه ﷺ كان سيداً من عند ربه، ممن كانت لهم المشيئة المطلقة من غير جبر، اللهم إلا أن تلك المشيئة تتحد اتحاداً كلياً مع سر القدر، ولكن جوهر نفسه ﷺ المصاغ من نور الله تعالى المجمل بوسعة الرحمة الإلهية، ولقد كانت صولات حاله ﷺ تتنافس مع مقامه ﷺ فتدعوه إلى أن يسأل الله هداية الجميع، بما يقيمه من أسباب جمع قلوبهم، فأيده الله تعالى في مقام الرسالة، تأييداً سوى بين الحال والمقال، بقوله تعالى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الكهف: ٢٩ الآية. أي: يجب عليك أن تقول الحق للجميع، فإني قدرت أن أجعل قوماً لرضواني ومحبي وجنتي ونعيمي، وقوماً للبعد عني وللخلود في نار جهنم، وقوماً للحساب، فإما أن أغفر وأرحم، وإما أن أحاسب وأعاقب. ودليل أهل محبته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ

خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَهُمُ الْمَلَأِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ

الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿الأنبياء: (١٠١ - ١٠٣)﴾

ودليل أهل الشقاء قوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (الكهف: ١٠٥).

ودليل الوسط قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾

(الأنبياء: ٤٧). والأمر من الله تعالى بقوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ

فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩) تأييد لمقامه ﴿﴾ على صولات حاله

العلية، الداعية لعلو همته ﴿﴾ إلى أن يهدي الله الناس جميعاً على يده ﴿﴾. وفي

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ (الكهف: ٢٩). أي من قدر له الحسنى شرح

صدره لقبول الإيمان بجاذب روحاني يعتبر مشيئة له. ومن شاء أن يدخله النار

حجب عنه أنوار القرآن بجاذب شيطاني يبعده عن القبول، وهى مشيئة العبد. فهي

في أهل الحسنى نعمة من نعم الله على العبد. وهى في أهل السوءى حجة عليهم.

ثم فصل هذا الإجمال ببيان قدره أزلاً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا

أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩) وهذا قدس أزلي. فكان إعداد النار لهم

متزلاً قبل كونهم ووجودهم فيه بقوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ في

الدنيا، لأن من فيها في نار البعد والقطيعة وفي شقاء الحرص والأمل، وهو نار وفي

الآخرة نار السعير.

وأهل الحسنى في الدنيا في جنة الرضا عن الله، منعمة أرواحهم بالمشاهد القدسية أو

الملكوئية، فهم في أنس بالله مهما اعتورهم من شئون الكون المزعجة، وهم في

الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، أو في جنة الفردوس، ورياض الجنة هو جنة النعيم.

ثبت الله بهذه الآية فؤاد حبيبه المصطفى ﷺ، لأنه تحقق أن الأمر مفروغ منه أزلاً، وأنه لا يؤمن به إلا من سبقت لهم الحسنی من الله، وأن سوابق الهمم لا تحرق أسوار الأقدار، ومع هذا كله فإنه ﷺ كان قلبه الشريف يحترق ألماً على أهل الكفر بالله تعالى حرصاً على إيمانهم.. شرح الله صدورنا لفقه كلامه العزيز وكلام نبيه ﷺ.

سر القدر

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩). إن الله تعالى أقام الرسل عليهم الصلاة والسلام مبلغين عنه أوامره ونواهيه، ليسمع منهم عن الله تعالى أهل النفوس التي صاغها من نور جماله، الذي صاغ منه روح حبيبه سيدنا محمد ﷺ، سماع قبول، وذكرى تعيد للنفوس ما تتمثله في مثولها يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢). وهذا البلاغ خاص بمن سبقت لهم من الله الحسنی، أما من سبقت لهم منه سبحانه السوءى فلم يكن البلاغ إلا حجة عليهم بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢). ولذلك فالله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الكهف: ٢٩) يعنى بلغ المنكرين عليك أن ما بلغتوه هو الحق الذي بقبوله نيل رضوان الله الأكبر، وبإنكاره الإبلas إلى أرض الطبع، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

إن الله تعالى خلق المختارين من نور جماله، وخلق أهل الكفر من طينة الخبال،

ويسر كلا لما خلق له، فلو قطع الرجل ممن اجتباهم بظبي السيوف ما ازداد إلا يقيناً وحباً في الله، ولو أعطى ملك الأرض لمن خلقه الله تعالى من طينة الخبال ما ازداد إلا قطيعة وكفراً فقلوه: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ﴿بلام الأمر حجة قائمة على سر القدر النافذ.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٢٩﴾ (الكهف: ٢٩).
 إن تلك النار أحاطت بهم من النشأة الأولى فهم في عذابها حرمانهم من الفوز بالإيمان ونعيم مشاهدته، ومن بهجة الروح وأنسها في الدنيا بما آنس به أهل الإيمان، ومن شهود آيات الله تعالى في الكائنات، وهى عند العارفين أشد من عذاب جهنم، وتلك الحيلة تكون بحبس الجسم عن نيل الخير بعبادة الله تعالى، وحبس الروح عن شهود جمال الله تعالى في النفس وفي الآفاق. والحرمان من الفوز بالعبادة في الدنيا، والحرمان من شهود جمال الله حق اليقين في الدار الآخرة هو نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فتلك النار محيطة بهم من بدئهم إلى ما لا نهاية، والإشارة إلى هذا: الإتيان بصيغة الماضي في ﴿أَعْتَدْنَا﴾ (الكهف: ٢٩).

الولاية الحقّة

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ (الكهف: ٤٤) (الكهف: ٤٤).
 الولاية لله الحق في الدنيا والآخرة بالنسبة للحقيقة عنده وعند من علمهم من لدنه علماً، ولما كان أهل الدنيا يجهلون تلك الولاية الحقّة، بين الله ذلك كما قال

سبحانه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤). وهو جل جلاله مالك يوم الدين والدنيا وما بعدهما، ولما كان مالك يوم الدين وولاية يوم الدين له حقاً لا ينازعه فيهما مبطل ولا مغرور ولا ضال ممن يدعون أن لهم ولاية هنا وملكاً قال سبحانه: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ بياناً للحقيقة في نفس الأمر، وتخويفاً للمغرورين بما تفضل به عليهم من العافية ومن زينة الدنيا التي ذكرها سبحانه بقوله: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (آل عمران: ١٤). إقامة للحجة عليهم ﴿هُنَالِكَ﴾ ليقبلوا على الله هنا، وفي قوله تعالى: ﴿الْحَقِّ﴾ كشف لغيب مصون يتذوقه أهل العلم بالله الفانون عن وجودهم الباطل بالوجود الحق، الذين شهدوا سر قول سيدنا علي عليه السلام: (مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ). وهو مقام فناء الفناء، أى: الفناء عن شهود الفناء وهو البقاء بالله تعالى عند ربنا جل جلاله، فقلوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الكهف: ٤٤ فقد يلحظ فيها أهل هذا المقام الفناء الكلي حتى عن إقامة الحساب لاستغراق الكل في وحدة الشهود، التي تستر تلك العيون اليقينية عن الوجود أو تستره عنها فقال سبحانه: ﴿الْحَقِّ﴾ ليلحظ أهل هذا المقام أن الولاية ظهورها معنى من معاني الربوبية للفصل في القضاء بين العالم لا للحظوة والاجتلاء، فإن أهل الحظوة على يقين من ولاية الله لهم في الدنيا والآخرة من وجودهم في حضرة العلم قبل الكون والزمان، ومن انفراده تعالى

خير الثواب

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف: ٤٤). أي عند فقد الظهير والنصير، والعدة والعدد، وتحقق الاضطراب الحق إلى الحق، يكون المعاذ والملجأ والمنجى إلى الله، وبالله، ولديها يتحقق من اضطراب في هذا المشهد المريع بأن الولاية لله الحق، لا ولاية لأحد على أحد، بحسب تحققه في اضطرابه، وهو سبحانه: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ والثواب أنواع كثيرة، تتفاوت بقدر همة الطالب ونيته، فقد يكون زهرة الحياة الدنيا، وقد يكون النجاة من أهوال الموقف، أو الفوز في البرزخ، أو الفوز يوم الحساب، أو الفوز بالجنة، وخير الثواب هو الله تعالى.

وَلَايَةُ الْحَقِّ إِجْلَاءٌ بِتَأْيِيدٍ فِيهَا ظُهُورٌ لِإِبْجَادٍ وَتَجْدِيدٍ
وَلَايَةُ فَوْقَهَا تَنْبِيْ بِعِزَّتِهَا فِيهَا الْوُجُودُ عَنَا قَهْرًا لِمَعْبُودٍ
وَلَايَةُ الذَّاتِ جَلَّتْ فِي نِزَاهَتِهَا مُرَادُهَا كَائِنٌ وَالْوُجْهُ مَقْصُودِي
هَذَا مَقَامٌ لِأَعْلَى سَبَقُوا فِي الْعِلْمِ قَدْ خُصَّصُوا مِنْهُ بِتَفْرِيدٍ
إِذْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَكَمْتُهُ بَلْ سِرُّ كَلِمَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَعْدِيدٍ

دلائل التوحيد

ظهور الظاهر في المظاهر

قال تعالى: ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾

(الكهف: ٤٥). العبارة لا تكشف الحقيقة؛ لأن حقائق الكائنات غيب لم يظهر منها إدراكا إلا ما تحيط به قوى الحس، وظهرت به الألوان والروائح والطعوم والأصوات، ولوحظت الخواص كلها أحوالاً قائمة بحقائق، والحقيقة من حيث هي غيب لا تدرك إلا باللوازم، وهي المحصورة المقهورة المخاطبة، وليبان تلك الحقائق تقريبا للقوة المدركة ضربت الأمثال، ووضعت التشبيهات والمجازات والكنيات، وكل ذلك لكشف هوية الحقائق الحديثة المقهورة، لتقوم الحجة على عجز الأرواح وما فوقها، والعقول وما دونها عن أن تحوم حوالي هوية الذات الصرفة الغيبة في وجودها وكمالها عن غيرها، ولما كان القرآن يدعو الخلق بالحجة البالغة والمحنة الواضحة كاشفا لكل قوى الحقائق التي يدعو إليها، ولما كان الإنسان لا قوى فيه تكشف الحقيقة التي تجذب القلب إلى أن يعلم الرب، كان من أهم الحقائق التي تجذبه إلى هذا المقام كشف الغطاء عن حقيقة الدنيا ليتقيها، وليسارع إلى الدار الثانية المسماة بالأخرى، لأن معنى الدنيا يعنى القرية والأولى، والأخرى يعنى البعيدة الثانية، بين سبحانه كل البيان ولكن لمن سبقت لهم منه الحسنى فضرب لنا مثل الأفراد في طمعهم في الدنيا واعتمادهم عليها بقوله تعالى: ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا

رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ (الكهف: ٣٢). منبئا سبحانه أن المعتمد على غير الله أو الفرح بغيره مشرك، حتى يعتمد على الله في أي مظهر من مظاهر الظهور،

وفرحه بفضل الله في أي ظهور من العطايا. ظهر جل جلاله، ثم ضرب سبحانه مثلاً لجميع بني الإنسان موقظاً لقلوبهم بقوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٥). إشارة منه سبحانه وتعالى أن الفضل يترله الله تعالى من السماء، أي من السموات، وإلى أنه سبحانه هو الواحد المتفضل، لأن الماء واحد وبه أحيى كل ذي حياة الحيوانات والنباتات، وإحياء الجمادات بتنوعها إلى أنواع أخرى من المعادن، فالماء واحد وأنواعه كثيرة، والله تعالى واحد وأنواع الخلق كثيرة، فمن لحظ الوحدة في الماء، والأحادية في الذات المتجلية، وفرح بفضل الله، واعتمد على الله، ارتقى على معارج القبول، حتى يصل إلى الله حيث ينضر وجهه وينظر إلى ربه، ومن نسي الوحدة في الماء، والأحادية في الذات، وفرح بما يلائم هواه وطبعه، لا يلبث حتى تفتى النعمة أو يفنى المنعم عليه، فإذا كانت العبارة لا تكشف الحقيقة، وتقريبها بالمثل لا يتدبره الإنسان، فاعتمد على المعراج الذي يعرج به إلى الله ناسياً، وفرح بملائمه غافلاً عن المعراج الموصل إلى ربه، قامت الحجة حتى لو قال الإنسان العبارة لا تكشف الحقيقة، قيل لك كشفناها لك بالمثل، والله الحجة البالغة، والعلم بالتعلم، فاطلبه ولو بالصين، والموفق يوفق بفضل من يشاء، وافرح بما نلت من العلم الكاشف لك أسرار الكائنات، حتى إذا انبجحت لك تلك الحقائق علمت أن إدراكها بالعجز والتملق أمام العارف، وتحققت بالعجز عن إدراك ظهور الظاهر في المظاهر، وبالعجز عن إدراك هويته - جل جلاله -

دلائل التوحيد

قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾

(الكهف: ٤٥). كشف الله للعقول المجردة عن الهوى حقيقة الدنيا بمثال يجليها للعقول، حتى تكون ماثلة أمامها مثولا يجعل النفس تتذكر مبدأها الأول، وهو الماء وتطوره في الأرحام، وفي الأجواء ونموه واستواءه، حتى ينتهي إلى طوره الأول بعد دورة كماله النوعي، ثم يحصد بعد حاصده (عزرائيل) فترجع الحقائق إلى ما بدئت، محفوظة الجواهر في أركان الوجود، غير قابلة لتنوع آخر لكمالها، إنا نرى الحقائق إذا كملت أدوارها حفظت كالذهب لأنه أشرف المعادن، فكذلك الإنسان فإنه أشرف الأنواع، ومضى وصل إلى كماله الإنساني حفظ من أن يتأثر بظواهر هذا الكون، ولما كانت النباتات تفتن فتنوع إلى أنواع أخرى، كان الإنسان لا يفنى فناء يجعله يتنوع في نوع آخر، بل تحفظ حقائقه حتى يعيد الله نوعه بما قدره له أزلا، بأن تمطر السماء أربعين يوما مني كمنى الرجال فنبت نباتا يؤهله للبقاء الأبدى إما في جنة أو نار، فكان هذا المثل الذي ضربه الله تعالى مع أنه مثال ولكنه حقيقة وضحت الحياة الدنيا توضيحا جليا بينت للإنسان مبتداه وخبره بيانا تطمئن به القلوب المؤمنة.

كُلُّ شَيْءٍ دَلَالٌ لِلتَّوْحِيدِ يُنْبِئُ الْعَقْلَ فِي مَبَادِي الشُّهُودِ
فِي الْكِيَانِ الْمَحْدُودِ آيَاتُ رَبِّي فِيهِ غَيْبُ الْغُيُوبِ فِي التَّجْدِيدِ
سِرُّ هَذَا التَّجْدِيدِ كَشَفُ الْمَعَانِي وَهُوَ آيٌ دَلَّتْ عَلَى الْمَعْبُودِ
أَنْظُرَنَّ فِي النَّبَاتِ تَشْهَدُ غَيْبًا يَجْذِبُ الرُّوحَ لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ
حَيْرَتِي آيُ النَّبَاتِ لِأَنِّي قَدْ شَهِدْتُ الْوُجُودَ سِرٌّ مُعِيدِ
حَيْرَتِي آثَارُ قُدْرَةِ رَبِّي طَمَأَنَّ الْقَلْبَ قَوْلُ رَبِّ رَشِيدِ
يَا إِلَهِي أَدِرْ طُهُورَ الْمَعَانِي كَيْ أَرَى الْغَيْبَ فِي غُضُونِ الْجَدِيدِ
يَا إِلَهِي وَأَفْتَحْ كُنُوزَ الْعَطَايَا وَفَقِّنِّي أَفِي بِكُلِّ الْغُهُودِ
وَأَشْفِنِي مِنْ سِقَامِ جِسْمِي وَقَلْبِي هَبْ لِكُلِّ الْأَوْلَادِ خَيْرَ الزَّمِيدِ

أَعْطِ خَيْرَ الْعَطَا لِأَلِيٍّ وَصَحْبِي فِي حُصُونِ الْمُخْتَارِ فَأَجْعَلَ شُهُودِي

الأمثال طريق تحصيل علم النفس

قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (الكهف: ٤٥). لو انكشف الحقيقة للحس لما ضل ضالا ولا غاويا، ولكن الله سبحانه وتعالى ستر الحقائق بستر شفاف جدا حتى كاد لا يدرك، وألاح خواصها التي هي طلبة الجسم والحس من طعم ولون وريح ونمو للأعضاء، ولكن الحقيقة من حيث هي التي أنتجت تلك الأعراض بحسب ما هي عليه، فهي كالنفس بالنسبة للحس في الحيوان لا تكشف إلا لنظيرها في الحقيقة، ولما كانت تلك القوى في الكائنات محجوبة بسورها من المادة ولوازمها عن أن ترها النفوس، لأن النفس تأخذ قسطها من تلك الحقائق بالنسبة للجوارح، لسمع من سمع وأبصر، وهذه الأعضاء تلتقط ألوانا وأشكالا وطعوما وسمكا وحكما على البعد والقرب، وهي أعراض الحقيقة لا الحقيقة، وللنفس بعد علمها بتلك الخواص علم الحقيقة حكما لا تدركه الأعضاء، فطريق تحصيل علم النفس الأمثال، لذلك نرى القرآن كثرت فيه الأمثال لتقريب الحقائق للنفوس حتى تدركها، فإذا أدركتها علم يقين أنزلتها منزلتها من إثارة أو إثارة سواها، والإنسان إن لم ترسم رسوم الحقيقة على جوهر نفسه لا يتأثر بها ولو علمها من أكمل الأنبياء، ولهذا يقول الله تعالى:

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ (الكهف: ٤٥). تقريبا للحقيقة الدنيا، ليرتها المؤمن منزلتها الحقيقية، ويعمل فيها عملا يوصله للدار الآخرة ليفوز بالنعيم المقيم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩).

زينة الحقيقة الإنسانية

قال تعالى: ﴿أَلَمَالٌ وَأَلْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

الزينة ما كملت به الحقيقة، والحقيقة الإنسانية زينتها من حيث الدنيا ثلاث: العافية، القوت، الأمن.

العافية: محتاجة إلى ما يحفظها على الإنسان وإلى ما يردها عليه إن فقدتها.

والقوت: محتاج إلى تربية النباتات والحيوانات وإتقان بعض الصناعات.

والأمن: محتاج إلى أخلاق يعيش بها الإنسان مع قومه، وإلى عصبية تدفع عن الإنسان الشر وتجلب له الخير، وهذه الجمالات الثلاثة محصورة في المال والبنين.

وقد جمعت الآية الشريفة كل تلك الأنواع، وهي المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وللآخرة زينة، والله زينة يزين بها عباده الصالحين، وللعبد زينة بما يصل إلى الله، وزينة الدار الآخرة محصورة في الباقيات الصالحات، والباقيات هي كل باقية يرفعها الإنسان إلى ربه فيبقى له أجرها وهي محصورة في أربعة أنواع: العقيدة الحقة، العبادة الخالصة، الأخلاق الجميلة، المعاملة الحسنة، وكلها باقيات صالحات.

ولا تكون ذخيرة للعبد عند ربه إلا إذا تلقى العقيدة من القرآن الكريم، وتلقى العبادة من عابد عالم، وتلقى المعاملة من الكتاب والسنة، وتلقى الأخلاق بالتشبيه بالسلف الصالح، فمن ضيع أنفاسه في تحصيل زينة الحياة الدنيا غافلاً عن زينة الدار

الآخرة خسر الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿أَلَمَالٌ وَأَلْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

ثم يجذب قلوبنا ويسكر أرواحنا بقوله ﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، وبعد الدنيا والآخرة زينة وجمال قال ﴿﴾: (الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى

أَهْلِ الْآخِرَةِ الْآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا. الدُّنْيَا الْآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ
[رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما].

تَرَكَّ الْحَظَّ سَالِكٌ وَمُرِيدٌ تَرَكَّ الْكَوْنَ صَادِقٌ وَرَشِيدٌ
تَرَكَّ الْجَنَّةَ الْعَالِيَةَ فَرَدَّ نُورُ مَوْلَاهُ فَصَدَّهُ الْمَقْصُودُ
تَرَكَّ الْكَشْفَ وَالشُّهُودَ مُرَادٌ لَاحَ صِرْفًا لَهُ الْعَلِيُّ الْمَجِيدُ
تَرَكَّ التَّرِكَ مَنْ تَحَلَّى بِوَصْفِي فَتَجَلَّى لَهُ الْكَبِيرُ الْحَمِيدُ
صَارَ شَمْسًا مُضِيئَةً فِي كُنُوزٍ يَبْدُ مِنْهُ الرِّضَا يَحِلُّ الْوُرُودُ
مَنْ يَرَى نُورَهُ إِلَى الْعَرْشِ يَرْقَى وَيُؤَالِيهِ بِالْقَبُولِ الْوُدُودُ
يَاسُرُورِي لَمَّا تَرَكْتُ لِتَرْكِي وَرَقَيْتُ وَالْعَارِفُونَ رُقُودُ
وَرَقَى بِي لِقْدَسِهِ وَحَبَانِي قَائِلًا أَنْتَ يَا حَبِيبِي فَرِيدُ
لَسْتُ أَهْلًا لِتَرْكِ تَرْكِي وَلَكِنْ حَضْرَةُ الْذَاتِ تَفْعَلْنَ مَا تُرِيدُ
كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ وَجَهْلٍ وَبُعْدٍ وَأُولُو الْجَدِّ قَائِمُونَ سُجُودُ
نَظَرَ اللَّهُ نَظْرَةً فَحَبَانِي وَإِمَامُ الْهُدَى لِذَاتِي رَشِيدُ
حَضْرَةُ الْذَاتِ كَمْ لَهَا مِنْ مُرَادٍ خَصَّصَتْهُ لَهَا فَصَحَّ الشُّهُودُ
قَدْ خَلَعْتُ الْعِدَارَ عَنْ نُورٍ وَجْهِي مَنْ رَأَاهُ بِالصِّدْقِ فَهُوَ سَعِيدُ

سر المبدىء والمعيد

قال تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾، (الكهف: ٤٨). خلق الله العالم أجمع، ليظهر - جل
جلاله - بآثار قدرته وعجائبها، وأسرار حكمته وغرائبها. واقتضت حكمته -

جل جلاله - أن يظهر في أول الخلق أمام الأرواح ظهوراً بلا حجاب، بأخذ إقرارات خلقه على أنفسهم بقوله سبحانه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

فأقروا واعترفوا بأنه جل جلاله ربنا، بقولنا جميعاً ﴿بَلَىٰ﴾ ثم إنه - جل جلاله - عاهدنا، لعلمه أن تلك الأرواح المجردة، إذا لابت الأجسام المحدودة، ظللتها بظلال سفليها، فأنستها عهد ربها - جل جلاله - أو سترتها بظلمات حظوظها، وأطماعها، فتناست هذا العهد، فقدر - جل جلاله - أن يعيد نسي أو تناسى إلى ما كان عليه من الصفاء، إقامة لحجته، فكان ما أراده - جل جلاله - وتحقق العالم بحقيقة أنهم عبيد الله، وأنه الرب المبديء المعيد، وقامت الحجة بالنسيان أو التناسي، فاستحقوا بذلك ما حكم به عليهم في الدنيا، على ألسنة رسله - صلوات الله وسلامه عليهم - من انتقام بالخلود في النار، أو من عقوبة للتطهير، أو من عفو ومغفرة، مقررين أن ذلك عدل منه. وأما من سبقت لهم الحسنى، فإنهم عند ربنا لا يَمُرُّونَ عَلَىٰ صِرَاطٍ، ولا يَرَوْنَ نَارًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١-١٠٣).

وهذه الآية الشريفة خير من الله تعالى، يبين ما تكون عليه حال من كفروا بالله، وكفروا برسوله ﴿﴾، أو من آمنوا وخالفوا وصايا رسول الله ﴿﴾. فأما من

كفروا بالله فيخاصمهم بقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ جَبَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾.

حرمان القابل

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (الكهف: ٥٧). الظلم أنواع وأشده وأنكاه، أن يحرم الإنسان القابل الذي يقبل به الفيض المقدس عن الله تعالى، المفاض عليه بواسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن حرمان القابل برهان على كمال خبث الطبع وسوء النفس الأمارة، فإن الله تعالى ما تفضل بهذا الفيض المقدس إلا بواسع رحمة منه، وحكمة بالغة في بيان، وحجة قاطعة في تقريره، حتى تتجلى مدلولاته ومفهوماته بكل من وهب له القابل، فيبلغ من ظهوره تمثيل جوهر النفس له تمثيلاً يجعله فوق الملموس المشهود، ومن بينت الحقائق بهذا الأسلوب وأبى قبولها أقام الحجة على نفسه بأنه أظلم الخلق لنفسه، وأنه لو عاجلة المصائب وأسرعت إليه النقم لا ينتفع بالقبول بعد، لأن ظلمه لنفسه بلغ نهايته ولا يبلغ ظلم النفس تلك النهاية في إنسان إلا وقد سجل عليه القضاء أن يكون من المخلدين في النار، ودليل ذلك قوله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ (يونس: ٩١) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ (غافر: ٥٢) وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨) فخير الله عمن لم يقبلوا تذكير الرسل لهم بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، مع ملاحظة أن جواب الاستفهام لا أحد يعنى أنه أظلم الناس، ولا أحد أظلم منه إلا من عمل عمله، والواجب علينا بعد هذا البيان أن نعادي كل من كذب القرآن ولو أحسن إلينا بكل أنواع الإحسان، وألا نسارع فيهم ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا،

ومن غفل عن هذا ومال قلبه إليهم، أو تردد على أبواهم، ولم يسارع إلى التوبة
يخشى عليه سلب الإيمان أعاذنا الله وإخواننا المسلمين منهم.

إِلَى اللَّهِ هَبْ فَيَرْحَمِ رَحْمَةً وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ
إِلَى اللَّهِ هَبْ لَكَ شَرَعَ فُتُوحَاتٍ رِجَا
وَلَا تَرْكَبْ يَارُوحُ الْجَنَمِ إِنَّهُ
إِلَى اللَّهِ هَبْ وَتَحْنِي الْجَنَمِ إِنَّهُ
أَبْلُوحُ نِ الْحَسَّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ
لَا حَيَّ حَمِي شَرَعَ مُحَمَّدٍ
لَا وَتَنْهَى نُورَ الْقُرْآنِ لِحُسْبِي
لَقَدْ فَوَّكَلُ لَكَ هَفْ وَلَعْمُو إِلَى
لَقَدْ لُهِمُوا الطَّمِ لِلَّيْ نَهْمَةً
أَيُّرَ هَبْنَا لَحُبِّكَ قَوْلَنَا
أَيُّرَ فِي هَبْ لِبَوْلِ عَمَّا
أَيُّرَ أَيْلَنَا بِرُوحِكَ وَفَعَى
أَيُّرَ فَوْحًا خَضَلٍ وَرَحْمَةٍ
أَيُّرَ وَجَعًا عَلَيْكَ وَظَهْرَنَ
لَمَتَا عَلَى لِسَانِهِمْ عَمَرُ قَوْلَنَا

لِيُشْرِقَ نُورُ الْعَرْشِ صَوْبَكَ وَالْكَرْسِي
أَلَا فَأَدْخِلِي تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فِي أَنْسِ
حِجَابٌ وَخَلِّي رُوحُ دَاعِيَةِ الْحَسَّ
يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ فِي الشَّكِّ وَاللَّبْسِ
أَلَا فَافْقَهِي دَاعِي الْمَحَبَّةِ لِلشَّمْسِ
أَلَا تَابِعِي الْمُخْتَارَ يَارُوحُ لَا تَنْسِي
طَهُورَ الصِّفَا يَارُوحُ بِالْعَيْنِ لَا الْكَأْسِ
مَشَاهِدِ تَوْحِيدِ تَدُلُّ عَلَى الْقُدْسِ
مِنْ اللَّهِ فَارْزُوا بِالْمَشَاهِدِ وَالْأَنْسِ
وَجَمَلْنَا بِالْحَالِ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسِ
بُنُورِكَ حَتَّى تَشْهَدَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ
كُنُوزِكَ يَامَوْلَايَ فِي الْيَوْمِ كَالْأَمْسِ
أَيُّرَبُّ أَنْزَلْنَا بِرُوحَاتِ فِرْدَوْسِ
جَمَالِكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي رَوْضَةِ الرَّمْسِ
بِحَقِّ يَقِينِ زَكَّ يَاسَيِّدِي نَفْسِي

مجمع البحرين

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرَحُ حَقَّ أَتْلُغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾ (الكهف: ٦٠) الكون كله مرآة لمعاني الأسماء والصفات بحسب جمالها وجلالها، وسيدنا محمد ﷺ هو روح هذا الكون، وهو الروح الكلية التي تشعشت مقتضيات تلك المعاني، وهو الصورة الأكملية لجمال وجلال وكمال أسماء صفات الربوبية، والرمز العالي للغيب المصون، الذي ليس له مظهر لعيون أي حقيقة، والأعلون فمن دونهم يستمدون حقيقة العلم العالي من تلك الروح الكلية، وعلم بذلك من علم، وجهل بذلك من جهل، بل هو البرزخ الحقيقي الذي يفاض عليه تلك الشئون الربانية فتسري إلى عالم الأرواح والنفوس والعقول، وشئون المعاني التي تغزو العقول والحس والجسم، وهو فوق ذلك ﷻ، جوهرية كثر معاني الصفات فمنه وبه وله كل كائن قال ﷻ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ مُحَمَّدًا لِدَاتِي وَخَلَقْتُ آدَمَ لِمُحَمَّدٍ وَخَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ لِبَنِي آدَمَ﴾ ولما كان كمال العبادة محصوراً في أفراد الوجود من أولي العزم، وكُمّل ورثته ﷻ، يجب أن يتحقق بأكمل معانيها فيهم، وكان من الغيب المصون ما لا يدرك بالعقول ولا بالنفوس ولا بعيون الرءوس ولا طريق لوصوله إلى النفس إلا بالتلقي كما تلقى آدم من ربه، وكما ابتلى إبراهيم فتلقى، وكما ابتلى موسى فتلقى من العبد المتحقق بالعبودة، حتى ذاق طهور ذات الغيب المصون. كل هذه المراتب والمقامات لتتصل

بالروح الكلية اتصال الفرع بالأصل أو رجوع الحق لصاحبه الذي له، وكانت العلوم الشرعية تقتضى الوقوف عند الحد الشرعي، حتى لا تتجاوزه إلى ما وراء العقل النوراني إلى ما فوقه من مشاهد الروح القدسية تمكيناً، ومن كسوف الروح الملكية تلويحاً، فإن الشريعة المطهرة لكل النفوس، حتى تشاكل وتجانس بناحية ما من الأنحاء النفس القدسية، فتريحها من شغلها بتلك القوى بسبب تسليمها وانقيادها لها، وتلك النفس القدسية هي التي تقتبس الغيب المصون من الروح الكلية. ولما كان هذا العلم أعز وأعلى وأعلى من أن يناله أحد إلا بفضل الله تعالى، وببذل الجهود من العبد في طلبه، كشف الله لنا تلك الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ

قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ ﴿ في أن يهاجر من رياض شهود يانع أنوار العلم الذي تلقاه بالروح الملكية، التي ترد بحر الحقائق من دون السماع من عبد إنسان تكمل تمكيناً بالعبودة بعد العبادة والعبودية، لذلك لزم موسى ﷺ مقام الطلب وبذل الجهود في التحصيل إظهاراً لاستعداده للعبودة وتحملاً لتحقيق أهليته، وهذه الآية تدل على أن طالب المقام الأعلى لا يكلف غيره مما ليس له أهل إلا بالالتماس والترجي، وشرح الحقيقة له هو أدب الله تعالى لأولي العزم الذي يجب أن يراعيه أهل هذا المقام، لم يحصل موسى ما حصله من الخضر ﷺ من العلم، لأن الروح الملكية وإن علت لا تتحمل، وليس فيها من القوى التي تتحمل بها معاني السماء والصفات جميعها فعلاً، اللهم إلا أن يكون صاحب هذا المقام العلي قد علمه القوى الخبير المتين العلیم كما هو ثابت لحضرة الروح الكلية ﴿ ومن هنا نعلم أن العلم كله في العالم كله، ولو أن العلم كله جمع لعجز عن تحمله كل العوالم إلا بمعونة الله تعالى، وقد جعل الله له فرداً واحداً خاصاً أقامه مقامه في صريح القرآن، وجعل كمال اتباعه فوزاً بمحبوبة الله تعالى، وجعل المبايعة

له ﴿﴾، المبايعة لذاته جل جلاله، وجعل... وجعل... وبذلك كانت ليلة مولده الشريف للمسلمين خيراً من ليلة القدر، لمعنى خاص تحلو الإشارة إليه ففي خلوة العبد بروحه، عندما يحصل الإذن له بأن يتلقى من سبوحه، منحنا الله جرعة من صافي شراب هذه المحبة، وأسبغ إحسانه حتى يسقينا شرابه الطهور إنه مجيب الدعاء.

شهود سر القدر:

قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٦٩-٧٠) العلم بمعناه لا يتحقق في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته العلية وفي كماله المقدس، وأما ما سواه ومن سواه فقد يبلغ الإنسان الكامل منه ما فوق العلم بعين اليقين وهو الشهود، وما فوق الشهود وهو الإدراك بحق اليقين، وقد بلغ أولو العزم من الرسل من العلم بالله مبلغاً لا يتعداهم إلى غيرهم، ولا ينقص مقاماتهم العلية ما يبلغه بعض أهل الخصوصية من كمل أحباب الله وأوليائه من شهود سر القدر، ومن التصريف الأكبر الحال والهمة والكلمة، فإنها مواهب يتفضل الله بها عليهم كما يتفضل على أهل الكفر به من القوة والمنعة والتمكين في الأرض بالباطل، فإن العالم كله عبيد لله مقهورون وخلق الله مربوبون، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مریم: ٩٣) ولما كان العلم بسر القدر لأهله، وتنفيذ مراد الله تعالى في خلقه يخالف الأمر والنهي الذي شرعه الله وكلفه، لذا قد يخفى على كثير من الرسل الكرام لإقامتهم في الدعوة إلى الله، وهو معقول لذوي العقول.

مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ رَمَزُ الْإِفْتِرَابِ
بَرَزْخٌ لِلْفَصْلِ وَالْوَصْلِ بِهِ
صَحَّ فِيهِ الْإِتِّحَادُ لِمَنْ صَفَا
مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ رَمَزُ مُنْبِيءٍ
بَيْنَ مِلْحٍ حَافِظٍ رُتِبَتُهُ
رُوحُ تَشْبِيهِ أَضَاءَتِ لِلنَّهْيِ
مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ مَظْهَرُ ظَاهِرٍ
سُتِّرَ الْمَظْهَرُ بِالنُّورِ الْجَلِيِّ
أَشْرَقَ الظَّاهِرُ لِلرُّوحِ الَّتِي
وَيَ وَقَدْ صُعِقَتْ مَعَالِمُ رُتِبَتِي
بَرَزْخِي رَمَزٌ لِكَنْزٍ غَامِضٍ
هَيْكَلِي لَوْحُ التَّجَلِّي مُشْرِقٌ
فَرَّ مِنْهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ جَامِعًا
مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ رَفَرَفٌ مَنْ صَفَا
مَظْهَرِي يَخْفَى وَيُجَلَّى ظَاهِرِي
وَيَ كَأَنِّي كَنْزٌ غَيْبٍ غَامِضٍ
لَمْ يَرَوْا مِنِّي سِوَى ظِلِّي الَّذِي
مَنْ يَكُنْ أَعْمَى عَنِ النُّورِ الْجَلِيِّ
نُورٌ إِشْرَاقِي أَضَاءَ بِلَا خَفَا
مِنْ لَدَى ﴿كُنْ﴾ قَدْ تُضِيءُ حَقِيقَتِي

بَرَزْخُ الْبَيْنِ بِهِ سِرُّ الْمَتَابِ
جَاذِبٌ لِلِإِفْتِرَابِ فَتَى أَنْابِ
وَأَتَمَحَى الْبَيْنُ بِهِ كَشَفُ الْحِجَابِ
بِالْيَدَيْنِ فَذُقْ مَعِيَ صَافِي الشَّرَابِ
بَلْ وَعَذْبٌ يُحْيِي ذَرَاتِ الشَّرَابِ
غَيْبٌ تَنْزِيهِهِ بَدَأَ لُبَّ اللَّبَابِ
أَشْهَدُ الْعَيْنَيْنِ أَنْوَارَ الْجَنَابِ
وَالظُّهُورُ مُسْتَرٌّ بِالْإِنْتِسَابِ
مِنْهُ قَدْ نُفِخَتْ بِهِيْكَلِهِ الْمُهَابِ
هَلْ أَنَا غَيْبٌ رَأَاهُ مَنْ أَنْابُ؟
مَنْ رَأَاهُ بِالصَّفَا الْقُدْسِيِّ طَابَ
مَنْ رَأَى آيَتِهِ فِي الْحَقِّ غَابَ
فَارِقًا يَرْجُو الْمُهَيِّمَنَ لَا الشَّوَابَ
فِيهِ حَقُّ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَابِ
فِي ظُهُورٍ فَوْقَ مِنْهَاجِ الصَّوَابِ
عَنْ نُهْيِ أَهْلِ الْمُبَاحِثِ وَالْحِجَابِ
سُتِّرَ الْأَنْوَارُ عَنْ عَيْنِ الدَّوَابِ
فَهُوَ أَعْمَى بَلْ أَضَلُّ لَدَى الْإِيَابِ
لَمْ يُسَوِّرْهُ عُيُوبٌ أَوْ غِيَابِ
أَسْجَدُ الْأَمْلَاكَ لِي حَالَ الْجَوَابِ

الباب الرابع

العلم والعمل والاعتقادات والعبادات

الفصل الأول

العلم

العلم والعمل

ليس العالم من حصل العلم كمقادير الجبال، إنما العالم من عمل بعلمه ولو مسألة واحدة، والعلم يحصل للعمل به، لا للرفعة والعلو في الأرض بغير الحق، أو للممارسة والجدل، أو للتوسط إلى الأمراء والملوك. ومن حصل العلم ليجعله وسيلة للعرض

الفاني، سجل على نفسه الشقاء في الدنيا والآخرة، كالعباد الجهلاء، الذين يتحملون للعامة بكثرة العبادة؛ ليفسدوا عليهم عقائدهم، وليلبسوا منهم أموالهم. والعلم الحقيقي هو العلم بالله، وبأيام الله، وعلم المسلم بنفسه، وعلم ما يجب عليه عمله، وعلم حكمة ما يعمل من أحكام الله حتى لا يضيع الوقت في تحصيل ما لا يجب عليه.

بُشِّرْ لِمَنْ عِلْمُوا وَبِعِلْمِهِمْ عَمِلُوا فَازُوا بِنَيْلِ الرِّضَا وَلِرَبِّهِمْ وَصَلُوا
الْعِلْمُ قَرَبَهُمْ لِشُهُودِ خَالِقِهِمْ حَتَّى لَقَدْ شَهِدُوا لَمَّا بِهِ اتَّصَلُوا
الْعِلْمُ نُورٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَمْنَحُهُ أَهْلُ الْأَصْفَاءِ مَنْ عَنِ الرَّحْمَنِ مَا عَدِلُوا
لَمْ تُلْهِهِمْ بِهِجَةُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا فَرُّوا إِلَى رَبِّهِمْ حَتَّى بِهِ نَزَلُوا
الْعِلْمُ يَجْذِبُهُمْ لِلْحَقِّ مَقْصِدُهُمْ وَالْمُصْطَفَى قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ إِنْ عَمِلُوا

وظيفة العالم في العالم

ليس من حصل العلم ليفهم عبارات المتقدمين فأضاع أكثر عمره في ذلك وضيع بقية العمر فجلس ليعلم غيره بعالم. إنما العالم من تصور رسوم المعلوم، حتى صار صورة على جوهر نفسه، فحصلت له رعاية ما علم في كل حال وشأن، فكان نجماً يهتدى به في ظلمات الشبهات، وشمساً تضيء آفاق سبل الحق، فنفع أهل عصره بعمله قبل علمه، وبعلمه وحاله، وهذا هو العالم الرباني الذي أثنى الله سبحانه وتعالى عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨). هذا البديل عن رسول الله ﷺ والقطب الثابت الذي لا يتغير، ولا ينتقل، ويسمى بدلاً لأن الله جملة لورثة رسول الله ﷺ وسمى قطباً لأنه لا ينتقل من مكانة اليقين، ومترلة التمكين، مهما كانت الحوادث والظروف وإليك أمثلتهم صلوات الله وسلامه عليهم وما أكثرهم في أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم

بإحسان وما أقلهم في زماننا.

أمثلة العلماء العالمين

عُذِبَ سيدنا بلال في الله أشد العذاب، فلم يزد إلا يقيناً، وعذب سيدنا ياسر، وعمار ابنه وزوجته سمية، حتى مات ياسر وزوجته في العذاب، ولم يزدادوا إلا يقيناً، وعُذِبَ أكابر الصحابة حتى خرجوا إلى الحبشة مشاة، واليقين ينمو، والشوق إلى الله يزداد، ثم انتقل هذا اليقين إلى التابعين، فعذب الحسن البصري وابن جبير وابن المسيب وغيرهم فازدادوا يقيناً وثبوتاً على الحق، ثم أكابر العلماء من بعدهم كالزهري والثوري وغيرهما، ثم ضُرب أبو حنيفة رحمه الله ليتولى القضاء فأبى خشية من الله بعلمه، ثم ضُرب الإمام مالك رحمه الله وأهين ليقر على حكم لم يره فأبى، ثم ضُرب الإمام ابن حنبل ليعترف بحكم لم يره فأبى أن يقر عليه، وأهين الإمام الشافعي رحمه الله من مخالفه، وهو ثابت لا يتزلزل، ثم هُدد ابن جريج، وابن سمعون، ومالك بن أنس رضي الله عنهم بالقتل من أمير المؤمنين، أبي جعفر المنصور، فثبتوا على ما هم عليه، فهاجم أبو جعفر، وأكرمهم.

دعا أمير المؤمنين هارون الرشيد مالك بن أنس، ليقراً له درس حديث في منزله، فعظم العلم ومحله. وقال (العلم يؤتى إليه، لا يؤتى به) وزار هارون الرشيد المدينة، فلم يخرج لاستقباله فضيل بن عياض، فوشى به الربيع - وزير هارون - ليوغر صدر أمير المؤمنين عليه، فقال هارون: (رجل عظم محل العلم، يعظم) وأسرع لزيارته بنفسه ليلاً، فلما علم فضيل به، أغلق في وجهه الحجرة، وأطفأ في وجهه السراج، ففتح الحجرة قهراً، فاختفى فضيل في صفه، ففتش عليه هارون في الظلمة، حتى قبض على يده، فلما مس فضيل يد هارون قال: يد ما أليها! لولا أني أخاف عليها عذاب الله تعالى. فبكى هارون.

أَتُظَنُّ أَنَّكَ بِالْعُلُومِ تُقَرِّبُ وَيَفْهَمُ أَسْرَارَ بِهَا تَتَجَبَّبُ
 خَائِنَتِكَ نَفْسُكَ فَانْتَبِهْ مِنْ عِيَّهَا وَأَعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ مَنْصِبُ
 الْعِلْمِ عِلْمُ الْقَلْبِ بِالتُّورِ الَّذِي يُؤْلِيهِ فَضْلًا لَيْسَ فِيهِ تَنَاسُبُ
 فَإِذَا أَضَاءَ الْقَلْبُ لَاحَ جَمَالُهُ بِجَمِيعِ أَعْضَائِي وَتَلَكَ مَوَاهِبُ
 فَيَكُونُ ظَاهِرُهُ الْخُشُوعَ لِحِكْمَةِ وَبُطُونُهُ الْعَظُمُوتَ مِنْهُ فَيَرْهَبُ
 يَرْمِي الدُّنَا لَا يَرْجُو غَيْرَ رِضَا الَّذِي أَنْوَارُهُ ظَهَرَتْ لِقَلْبِ يَرْغَبُ
 الذِّلُّ حَلِيَّتُهُ وَشِرْعَةُ أَحْمَدٍ نَهْجٌ لَهُ وَهِيَ الصِّرَاطُ الْأَقْرَبُ
 لَا يَلْتَفِتُ لِحَظِّهِ أَوْ شَهْوَةِ أَوْ سُمْعَةٍ إِذْ ذَاكَ نَارٌ تُلْهَبُ
 يَنْغِي الرِّضَا وَالْفَضْلَ وَهُوَ مُرَادُهُ وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ شُغْلٌ مُتَعَبُ
 اللَّهُ رَبِّي وَالْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ شَمْسُ الْهُدَى فِي مُهْجَتِي لَا تُغْرِبُ
 هَذَا سَبِيلُ أَرْجُو رَبِّي نَيْلُهُ بِالْفَضْلِ حَتَّىٰ بِالصِّفَا أَتَقَرَّبُ

علوم المعرفة الإلهية

إن علوم المعرفة الإلهية ليست علوم الجدل، لأنها تتلقى بآذان اليقين، وتشهد أسرارها بعيون اليقين، ومن لم يمن عليه بآذان اليقين، وعيون اليقين فليجاهد نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ (الأنفال: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (الروم: ٥٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، فهل بعد حكم الله عليهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً من الأنعام يمكن أحدهم أن يصغى إلى علوم

اليقين، أو يفقه كلام الله؟! هذا ما لم يقل به مستبصر. وأنبه إخواني: أن يخفوا تلك الأسرار بقدر استطاعتهم، وأن يشتغلوا بعلوم الأحكام الشرعية والقيام بها أكمل قيام، رحمة للعامة ورضاء لله ولرسوله، ويجعلوا أسرارهم هذه، وخصوصياتهم فرحاً بفضل الله تعالى عليهم، وبرحمته سبحانه بهم؛ حيث اجتباهم بما اجتبي به أهل محبته، وصافاهم بما اصطفى به أهل عنايته حفظاً على دوام أنسهم بالله، ومحافظة على الوقت من الضياع.

غَرِيبٌ عَلِمْنَا عَنْ كُلِّ عَقْلٍ تَعَقَّلَ فِي الْمَبَانِي بَعْدَ نَقْلِ
هُوَ الْمَكْنُونُ عَنْ حِسِّ وَجِسْمٍ وَمَضْنُونٌ فَلَا يُدْرَى بِقَوْلٍ
يُذَارُ عَلَى أَلْتُّفُوسٍ بِلَا قِدَاحٍ طُهُورُ الرَّاحِ جَذَابٌ لَوْصَلِ
سَقَاهُ اللَّهُ لِأَرْوَاحٍ بَدُءًا بِحَانَ الْإِصْطِفَاءِ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ
عُلُومًا صَوَّرَتْ غِيًّا مَصُونًا عَلَى الْأَرْوَاحِ مِنْ أَسْرَارِ أَصْلِ
فَسَلَّمَ فَالْغُيُوبُ تُرَى عِيَانًا لِفَرْدٍ قَدْ يُسَلِّمُ لِلتَّجَلِّي
وَحَلَّ الْعَقْلُ يَحْكُمُ فِي الْمَبَانِي فَعِيبُ الْغَيْبِ مَسْتُوْرٌ بِظُلٍّ
وَتِلْكَ الرُّوحُ تَسْبَحُ فِي الْمَعَانِي لِشَهْدِ نُورٍ وَجْهِ الْحَقِّ حَوْلِي
جَوَارِحُ هَيْكَلِي سِتْرٌ لِرُوحِي وَرُوحِي فَوْقَ عَالٍ فَوْقَ سُفْلِ
تَرَى أُنُورَ أَعْلَى فِي صَفَاهَا وَتُمْنَحُ مَاتَشًا مِنْ مَحْضِ طَوْلٍ

الذل والانكسار لله

ومن أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجوء إليه سبحانه، والافتقار إلى رؤية عيوب نفسه، وجهلها، وعداوتها له، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته، وجوده وبره، وغناه وحده، وهذا معنى قوله ﴿سُبْحَانَكَ﴾: "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا

عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ [رواه البخاري، والترمذي والنسائي، وأحمد]. فجمع ﴿﴾ في قوله: (أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي) جمع في ذلك أمرين: الأمر الأول: الاعتراف بمنة الله ومشاهدتها. والأمر الثاني: مطالعة عيب النفس والعمل.. فالأمر الأول وهو مشاهدة نعم الله يوجب المحبة والشكر والحمد لولي النعم والإحسان. والأمر الثاني وهو مطالعة عيب النفس توجب له الذل والانكسار والافتقار في كل وقت.

وأقرب باب إلى الدخول على الله، هو باب الافتقار، فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً، ولا سبباً يتعلق به، ولا وسيلة منه بمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والحاجة إليه سبحانه دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويداء قلبه فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد حاجته واضطراره إلى ربه - عز وجل - وشديد فاقته إليه، وأن كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة في فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه - تبارك وتعالى - وأنه إذا تخلص عنه - سبحانه - طرفة عين هلك، وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يتلطف به ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، والله الموفق.

ذُلُّ الْعُبُودَةِ قَدْ يُلِيحُ غُيُوبِي
أَرْجُوكَ يَا مَوْلَايَ سِتْرَ عُيُوبِي
قَلْبِي عَلَى الْغَيْبِ مِنْ
مَحْبُوبِي
قَدْ تَبْتُ يَا مَوْلَايَ بَعْدَ

ذُلَّانِ: ذُلُّ عُبُودَةٍ وَذُنُوبِي
قَدْ جِئْتُ مُضْطَرًّا لِسُوءِ
خَطِيئَتِي هَبْ لِي
الْعُبُودَةَ فِي أَنْكَسَارٍ أَشْهَدَنَّ
وَفَقَّ لِمَا تَرْضَاهُ عَبْدًا مُذْنِبًا

تِلْكَ اللَّيَالِي جِئْتُ مُلْتَمِسَ
الرُّضَا قَدَّرَ لِي
الْخَيْرَاتِ وَأَشْرَحَ سَيِّدِي
طَهَّرَ مِنْ الْأَخْطَاءِ عَبْدَكَ كُنْ لَهُ
يَسِّرْ لِي الْحُبَّ الْقَبُولَ تَوَلَّنِي
أَمِتَ الْعَبِيدَ مُجَمَّلاً وَمَوَانِسًا
سُقْمِي وَشَيْبِي سَيِّدِي
وَخَطِئَتِي هَبْ لِي
خَفِيَ اللَّطْفِ وَاسْتَرَسَوَاتِي
لَمْ تُبَيِّنْ نَفْسِي الْخَطَايَا
سَيِّدِي خُذْنِي
إِلَيْكَ بِصَوْلَةِ الْحُبِّ الَّتِي
أَعَذَّ الْعَبِيدَ بِنُورِ وَجْهِكَ
سَيِّدِي حَتَّى
أَمُوتَ مُوَانِسًا وَمَقْرَبًا
فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ أَجْعَلْنِي لِي
مَوْئِلًا عِنْدَ الْمَلِكِ
الْمُنْعَمِ الْبَرِّ الَّذِي
تِلْكَ اللَّيَالِي فَأَمْنَحُنْ فِيهَا

مَشِيْبِي يَسِّرْ لِي
الْإِحْسَانَ هَبْ مَطْلُوبِي
صَدْرِي أَدْرِ لِي سَيِّدِي
مَشْرُوبِي عَوْنًا عَلَى
الْإِقْبَالَ وَالْتَقَرِّيبِ
حَتَّى أَنْيِبَ إِلَيْكَ قَبْلَ غُرُوبِي
حَتَّى أَكُونَ إِلَيْكَ خَيْرَ مُنِيبِ
قَدْ أَوْجَبْتَ خَوْفِي وَطُولَ
نَحْيِي بَدَلْ خَطَايَا
الْعَبْدِ يَا مَحْبُوبِي
أَنْتَ الْغَفُورُ وَأَنْتَ خَيْرُ
مُجِيبِ تَعْطِي بِهَا
الرِّضْوَانَ خَيْرَ نَصِيبِ
وَأَقْبَلْهُ فِي أَنْسٍ وَفِي تَرْحِيبِ
أَسْمَعْ إِلَهِي نَفْسَ عَبْدِكَ
طَيِّبِي
فِي جَارِ فَرْدِ الذَّاتِ خَيْرِ
حَبِيبِ أَغْنَى وَأَقْنَى
فِي صَفَا تَرْغِيبِ

لِلْمُقِيلِ التَّوَابِ وَالْمَحْجُوبِ

أَغْنَىٰ بِهَا مِنْ فَضْلِكَ

الْمَوْهُوبِ

فِي وَسْعَةِ الْإِحْسَانِ لَا

الْمَنْسُوبِ عَوَدَتْ مِنْ

خَيْرٍ وَغَفَرَ ذُنُوبِ

عَفَا وَغُفِرَانًا لِكُلِّ مَعِيبِ

حَتَّىٰ يَحِبُّكَ أَحْتَسِي

مَشْرُوبِي

الْعَطَا وَأَفْتَحْ كُنُوزَكَ

يَاسْرِيحُ يَوْسَعَةٍ

وَأَجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ الْعَمِيمَ

مُجَدِّدًا فِي الْحِلِّ

وَالْتَرَحَالِ أَسْعِدْنِي بِمَا

أَكْرَمَ بَنِي وَإِخْوَتِي فِي اللَّهِ

هَبْ وَأَفْتَحْ كُنُوزَ

الْعَطْفِ كَنْزَ عَوَارِفِ

الفصل الثاني

الإيمان

الإيمان والعمل

الإيمان عمل القلوب وعمل الصالحات وعمل الجوارح الناتج عن كمال صدق، ومن صدق بالغيب أي من غير شهود ولا حجة يطمئن بها القلب دل ذلك على أن نفسه صيغت من النور، الذي خلق الله منه أرواح الأخيار فقبل خبر الصادق باستعداد النفس لقبول الحق، الذي هي مؤهلة لقبوله لمجانستها لعالم الصفا، ومتى عمل القلب وعمله تصديق المخبر في خبره، وقوى تصديق القلب حتى أسفرت أشعة الإيمان على الجوارح من نور التصديق، عملت الجوارح في إخلاصه بقوة تصديق القلب، فاتحد عمل القلب وعمل الجوارح بصدق من القلب، مسارعة إلى القيام بما أوجبه الشريعة، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم من مزيد الإيمان، فصار العبد بذلك محسناً لأن الله تعالى منحه علم الغيب المصون، الذي صار به يعبد الله كأنه يراه، وهو مقام الإحسان الذي يحسن فيه العبد العمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠). يعنى إن الله لا يضيع أجر عمل المحسن من أن يضيع بما يشوب الأعمال من الغفلة، بسبب فقد المراقبة وحرمان العصمة، ومتى عصم الله العبد وجعل له نوراً تستبين له به مواطن فطر النفس المهملة، ودواعي الحظ والهوى، جملة باليقين الحق وبالمسارعة إلى محاب الله ومراضيه، فيصير عالماً عاملاً بقلبه وجوارحه، مقبلاً بجواذب الحب إلى باريه.

بِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ وَالْأَحْوَالِ نَيْلُ الْأَيْمَةِ حُظْوَةُ الْأَبْدَالِ
وَالْفِعْلُ حُجَّةٌ مُدَّعٍ أَيْدٍ بِهِ دَعْوَاكَ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ
صَبْرٌ عَلَى فِعْلِ الْفَضَائِلِ سُرْعَةٌ فِي فِعْلِ مَا يَرْضَاهُ مِنْ أَعْمَالِ
فِي اللَّيْلِ قَوَّامٌ نَهَارٌ صَائِمٌ حَجٌّ جِهَادُ النَّفْسِ حُبُّ آلَالِ
ثُمَّ الرِّضَا عَمَّا يَقْدِرُ قَادِرٌ فِي أَنْسِ قَلْبٍ بِالْوَلِيِّ الْوَالِي
وَالصَّبْرُ نَصْفُ الدِّينِ حَقًّا وَالرِّضَا هَبْ لِي الْجَمَالَ الصَّرْفَ خَيْرَ مَعَالِ
مَالِي مِنَ الْإِحْسَانِ فَضْلَكَ سَيِّدِي هَبْ لِي وَصُولًا فِي الْمَقَامِ الْعَالِي
أَيْفَنْتُ أَنَّكَ مُنْعِمٌ مُتَفَضِّلٌ أَوْلَيْتَنِي التَّفَضُّيلَ فِي الْإِجْمَالِ
إِنْ أَنْتَ حَاسَبْتَ الذَّلِيلَ فَإِنَّهُ يَهْوِي إِلَى النَّيِّرَانِ فِي إِذْلَالِ
لَكِنْ يَقِينِي الْحَقُّ أَنَّكَ سَيِّدِي أَعْلَيْتَنِي فَضْلًا عَلَى أَمْثَالِي
أَوْلَيْتَنِي الْإِحْسَانَ فِي الدُّنْيَا أَمْنَحُنْ خَيْرَ الْمَزِيدِ رِضَاكَ خَيْرَ مَالِي
وَأَعِزُّ ضَعِيفًا بِالْجَمَالِ تَوَلَّنِي هَبْ لِي إِلَهِي أَجْمَلَ الْأَمَالِ
وَأَحْفَظْ بَنِي تَوَلَّاهُمْ فَرَّخَهُمُو جَمْلَهُمُو بِالْحَالِ وَالْإِقْبَالِ
وَأَعِزَّنِي بِالشُّكْرِ وَفَقَّنِي لِمَا فِي الْحِلِّ إِحْسَانًا وَفِي التَّرَحُّالِ
وَتَوَفَّنِي رَبِّي مُنِيئًا مُسْلِمًا حَتَّى أَنْالَ الْعَفْوَ فِي إِقْبَالِي

الإيمان والعقيدة

هل يتأتى للناس أن يعيشوا بغير إيمان وعقيدة؟... والجواب: إن الناس لا يستطيعون أن يحيا بغير إيمان يعصمهم ويثبت خطاهم، واختلاف المذاهب في الدين لا بد منه لإخصاب الفكر الإنساني؛ لأنها تقيم قاعدة لتفكيرنا. ما معنى أن يكون المرء معتقداً إلا إذا كان ملتزماً لعقيدته، ضنيناً بإيمانه، عاملاً بأحكام شريعته، داعياً إلى اتباع دينه؟!

الجاد والمؤمن والعارف

قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (الواقعة: ٧-١٠). سيحشر الناس أزواجاً ثلاثة كما في سورة الواقعة. فأهل الشمال هو الجاحدون غير المقبلين على الله، وقد تكون أيدي هؤلاء غنية، ولكن قلوبهم فقيرة. وأن أهل اليمين هم أهل الإيمان بالله، وقد تكون أيديهم فقيرة، ولكن قلوبهم في غنى بالله. وأما السابقون فهم العارفون المقبلون على الله من كل وجه، المشتاقون لمعرفته ليس غير، وهؤلاء الذين قال عنهم عمر ابن الخطاب يعني صهيياً "لو لم يخف الله لم يعصه" أي أنه مطيع لإحسان الله السابق، لا للجزاء على ما فعل.

الفصل الثالث

الإسلام

رهبانية الإسلام

قال ﴿﴾: (رهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله) [رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ٨٢، ٢٦٦]. فالرسول ﴿﴾ يعطي الرهبنة معنى إيجابياً، وليس المعنى السلبي الذي ألفه الناس، وتعارفوا عليه، من انقطاع عن الدنيا، وانطواء على النفس، وانعزال عن المجتمع، أو السير مع تيار الباطل. لكن رهبانية الإسلام "الجهاد"، وهو مقاومة التيار الباطل، ومواجهة المعتدين. فالرهبانية الحققة هي التي تحول قوى الإنسان إلى عمل إيجابي، يحق الحققة، ويبطل الباطل.

الإسلام والمذاهب الأجنبية

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). ما لمعتنقي المذاهب الأجنبية من المسلمين يريدون أن يفرضوا أهواءهم على الإسلام، وأن يوجهوا تعاليمه وفق هذه المذاهب، مع بتر ما يزيد عليها من نصوص أو تجاهل وجوده! واجتهادهم في المواءمة بين الإسلام ومذاهب الغرب الصالح العام كما يتخيلونه، يغاير الاجتهاد المشروع الذي قرره الدين، وعرفه أئمة الإسلام في عصوره الزاهية الطويلة، إذ أن هؤلاء المفتونين بالمباديء المستوردة من الغرب، مرادهم أن تفرض نزعاتهم الجديدة على الإسلام،

وأن يقوموا بتأويل ما يتعارض معها.
إن الاجتهاد الصحيح لا يرضى بأن يضع المجتهد أمام عينيه رأياً، أو قانوناً أو نظاماً
ثم يلوى رقاب النصوص الإسلامية حتى يسوقها إليه، ولكن المجتهد يستوحي
النصوص الإسلامية حكمها وحكمتها في هذه القوانين والآراء والنظم، ويخضع
لهذه النصوص دون سواها.

عظمة الإسلام

إن سر نجاح الإسلام وسر عظمته.. قدرته الفائقة على إشعار المؤمنين بأهميتهم،
وهتافه الدائم بأن الكلمة كلمتهم والإرادة إرادتهم، وأن الدفة كلها في أيديهم..
وإذا كانت أهمية المؤمن - أي مؤمن - لا تتمثل في شيء كما تتمثل في الحاجة
إليه، فإنه متى أحسن هذه الأهمية لى نداء الحاجة إليه، ووقف على ثغر من الثغور
يحقق واجبه المحتوم الذي يربطه بالمجتمع بروح نشيط من الثقة، والألفة، والمحبة،
وواجب الوقت.

الفصل الرابع

التقوى

لباس يحفظك من الآثار، وآخر يحفظك من الأبصار، ولباس يحفظك من شيطان الحظ ووحش الشهوة، وبهيم الهوى، وطمع النبات، وجبن الجماد. وهو خير لباس يهبك الله.. به تكون في جنة الشهود، ونعيم الوجود، من غير كد ولا جهود ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦). وهذا الثوب القشيب هو الحلة لحفظ مرتبتك عبداً عابداً لرب قادر حكيم معبود.. باطن هذه الحلة كمال اليقين بقدره، وظاهرها جمال صفات ربك، فألبسها شاكراً من وهب لك ظاهرها. حاضراً بالفضل بربتتك مع من صاغك بيده، لتسارع بما وهب لك منه إليه. أعط كل ذي حق حقه، واحفظ لنفسك حقك تكن عند ربك، ولديها يغنيك الله بحلة الجمال الموجود منه لك عن كل ما تجهد نفسك في نيله بك، والحظ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر: ٣٤). كن يقظاً حيطة من عدوك؛ فإنه فتان، يخرج أهل الحجاب من جنة الشهود والنعيم، فيترع عنهم تلك الحلة المطرزة بجمال معاني الصفات، والحظ خطاب ربك: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٢٧). واتل بروحك ما حذف من هذا الخطاب من معنى: فيخرجكم من الجنة، يترع عنكم لباسكم، كما أخرج أبويكم. وحفظ تلك الحلة يتزلك إلى الماء المهيّن، أو إلى مرتبة الطين، ولو أنسك الروح الأمين، فإن تزلك محبوب ربك، ومؤانستك محبوبة نفسك، فاحرص على ما يحبه الله، واسأله المعونة على ترك ما به يكون الحجب ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

لباس التقوى

فر من اللبس إلى لبس ثيابي التقوى، فطهر لباس الإيمان، وتحمل بريش الإحسان، وسار سائحاً في ملكوته الأعلى، متجماً بلباس التقوى ﴿يَبْنِيْءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦). وهو الإيمان (وَرِيشًا) وهو الإحسان (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) وهو اليقين الحق (ذَٰلِكَ خَيْرٌ) لأنه كمال الأدب في مكانة العبادة، وبها يرفعك الله مكاناً علياً، قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: ١٣٩). مع قوله جل جلاله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧). فذق حلاوة الأعلى تلحظ ما فيك مما أخفاه عنك وأظهره للملائكة، فأنت مرآة تلك الأنوار، وكيف تشهد الملائكة ما فيك، ويحجب العبد عن شهود ما فيه مما به يواليه؟! والمقبل على الله يقبل الله عليه، حتى ينمحي البين من البين، وتقع العين على العين.

الفصل الخامس

العبودة والعبودية والعبادة

للعبودة شراب من عسل مصفى، وللعبودية شراب من طهور صاف ولأهل العبادة شراب من ماء غير آسن، والأفراد يشربون بالعين في مقام محو البين من البين ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصفات: ١٦٤) بين مقام الاتحاد ومقام الأنوار برزخ الشهود، فأهل الاتحاد مرتبتان: مرتبة اتحاد الإرادة والأمر، ومرتبة اتحاد العلم في حقيقة المشاهد، وكلا المقامين شهودان، لا وجود لواحد منهما وأهل الانفراد أثبتهم المحلى بكمالهما، فغابوا بها عن شهود الفناء والجمع، والبقاء والفرق، حتى كانوا به له فيه، فلا يسير بهم وطر إلا إليه، ولا تقع عيون أرواحهم إلا عليه، فهو معالم بين أعينهم لا يغيبون، وهم بأعينه لا يحجبون، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: ٣). لله ألوهيته المطلقة في مقام الأحدية، وله الظهور المطلق في مقام الربوبية، وهو الظاهر والباطن، غاب عن عيون نفخة القدس عظمة وعلواً، لا جفوة وبعداً، حققهم بالعبودة الخالصة المخلصة، فكانوا محافظين به على مكائهم، وهو يحفظهم له به، والتفريد منه لهم، ومنهم به له، أفردوه - سبحانه - بالحبوبية، وأفردهم سبحانه بالعبودية في حفظ العبودية والفناء. فهم العباد المجلون بجمال العبودة في مقام التفريد ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧). به له فيه منهم، سر قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدِّيقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف: ١٦).

عُبُودِيَّةٌ فِي عُبُودَةٍ فِي عِبَادَةٍ وَمَحَقٌّ وَسَحَقٌ بَعْدَ نَيْلِ الزِّيَادَةِ
لَدَيْهَا فَتَوَرُّ أَلْوَجْهِ يَشْفِي تَكْلُفِي وَأَظْهَرُ عَبْدَ الذَّاتِ نَيْلِي سِيَادَتِي
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا ﴿كُنْ﴾ بِهَا كَشَفُ رُتْبَتِي لَـ﴿كَانَ﴾ وَتَعْرِيفِي بِسِرِّ الْإِرَادَةِ
وَأَمْرٍ بِهِ التَّجْدِيدُ قَدْرِي مَكَائِنِي وَنَهْيٌ بِهِ عِلْمِي بِحُسْنِ الْإِعَادَةِ
وَمَا أَنَا فِي ذَا الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ رَاغِبٌ وَلَكِنَّهُ بَدَأَ يُلَيِّحُ إِعَادَتِي

أنوار العبودية

إذا أشرقت له الأنوار التي فيك منه، سلبت منك ما كان لك وهما ودعوى، وأثبتت
له جل جلاله عبداً في جنة المأوى.. جنة مراقبته في نعيم مواجهته، ورقاك بجواذب
عنايته وإحسانه إلى أعلى من ذلك.. جنة رضوانه، فرضي عنك سبحانه، ورضيت
عنه، فكنت راضياً مرضياً، شاهداً مشهوداً.

الاح لك ما به تفضل عليك؛ ليشهدك إحسانه المتوالي إليك، فاشهد نشأتك
الأولى، والخط سر العناية، واثبت له ما زاد على ما علمت من النشأة الأولى، وكن
في مقام تتلك حاضراً، تشهد نوره تجاهك ظاهراً.

عَبْدٌ أَنَا وَالْعُبُودَةُ تَاجُ إِحْسَانٍ قَدْ تَوَجَّجْتَنِي بِهِ أَلْطَافُ حَنَانٍ
تَاجُ الْعُبُودَةِ غَالٍ لَيْسَ يُمْنَحُهُ إِلَّا الَّذِي فَرَّ مِنْ حَظٍّ وَأَكْوَانٍ
أُولَيْتُهُ مِنَّةً مِنْ مُنْعِمٍ مُعْطٍ لَكِنِّي جَاهِلٌ فِي صُورَةِ أَلْفَانِي
جَمَالُهُ بِي مُحِيطٌ فِي الشُّنُونِ أَرَى مَا لَا يَلَانِمْنِي رَوْحِي وَرِيحَانِي
وَمَا يَلَانِمْنِي حَجَبٌ وَمَعْصِيَةٌ يُظَلِّلُ الرُّوحَ مِنْ سَهْوٍ وَنِسْيَانٍ
تَحْلُو الْعُبُودَةُ فِي سُقْمِي فَأَشْهَدُ مَا يُلُوحُ فِي رُتْبَتِي فِي الْمَشْهَدِ الثَّانِي

وَيِ وَالْعُبُودَةُ سِرًّا لَا يَفُوزُ بِهِ إِلَّا الْفَتَى الْمُجْتَبَى يُسْقَى مِنَ الْحَنَانِ
 نَالَ اتِّحَادَ اتِّسَابٍ فِي الْإِرَادَةِ فِي أَمْرٍ وَنَهْيٍ بِتَأْيِيدٍ وَبُرْهَانٍ
 وَالْجَاهِلُ الْخَبْلُ لَا يَرْضَى الْعُبُودَةَ بَلْ يَرْضَى الْمَلَانِمَ فِي غِيٍّ وَبُهْتَانٍ
 السُّقْمُ يُشْهَدُنِي قَدْرِي وَمَنْزِلَتِي عَبْدٌ لِرَبِّ تَعَالَى فَوْقَ إِمْكَانٍ
 فِيهَا الرِّضَا وَالصَّفَا وَالْحُبُّ وَالْمَعْنَى وَصَلُ اتِّحَادٍ بِلَا قَيْدٍ وَأَلْوَانٍ
 أُعِدْتُ لِلضَّعْفِ وَهُوَ الْبَدْءُ أَشْهَدُنِي أَنِّي بِهِ فِيهِ مِنْهُ حَقٌّ إِيْقَانٍ
 فِي الضَّعْفِ كُنْتُ لَهُ عَبْدًا بِلَا ظِلٍّ أُعِدْتُ لِلضَّعْفِ صِرْتُ عَبْدًا رَحْمَانٍ
 فِي الْأُنْسِ لَمْ أَشْهَدَنْ إِلَّا ضِيَاءَ وَجْهِهِ مُنَزَّهٌ قَدْ حَبَانِي خَيْرَ إِحْسَانٍ
 أَعْدَتْنِي فَأَعِدْ صَفْوِي مُؤَانَسَتِي حَتَّى أَتُوبَ إِلَى رَبِّي بِإِيمَانٍ

مراتب الشهود في العبادة

القيام بأعمال الشريعة وفاء، ورعاية أدب العبودية صفاء، والفناء عن رعاية هذا
 الأدب اجتلاء، والرجوع إلى الخلق بعد الوصول إلى الحق عبودية
 واجتباء، والقيام بالحق للحق مقام الرجل اصطفاء، وأكمل مقامات الاصطفاء
 أن يخبرنا الله - تعالى - أنه ظهر، وستر بظهوره حبيبه، فأقامه مقامه، وكان
 هو - جل جلاله - المشهود للأرواح في حال النياحة. وهذا المقام الفردي
 الأحمدى سر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح:
 ١٠) وسر قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال:
 ١٧). ولأهل التمكين من أبدال أولي العزم شمم من هذا العبير، ولكن بنسبة ما
 للعبد للعبد، وما للحق للحق، سر قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 قَتَلَهُمْ﴾ (الأنفال: ١٧). فأثبت لنفسه القتل ولكنه - سبحانه - أثبت لنفسه

الرمي الذي هو عمل حبيبه في الحقيقة؛ ليظهر ما لحبيبه عنده ولديه، ومن الأدب في هذا المقام تفويض الأمر لمن له الخلق والأمر، فإنه الولي ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ﴾
ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿﴾ (البقرة: ٢٥٧).

لِتُرَى الْمَعَانِي نَوَّعَ الْقُرْبَاتِ وَلِتُظْهَرَ الْمَجَلَىٰ بِذِي الْآيَاتِ
وَتَلُوحَ أُنُورُ التَّجَلَّى قُدِّرَتْ رُتَبُ الْوُجُودِ بِسَلْبِهَا الْإِثْبَاتِ
فَتَنَوَّعَ الْقُرْبَاتِ رَمَزَ مُنْبِيءٌ وَأَنَا الْمَكْلَفُ مَظْهَرٌ لِظُهُورِ مَا
وَمَعَ التَّكْلُفِ بِالظُّهُورِ أَنَا أَنَا فَاصُومُ تَجْرِيدًا أَحْجُ مُوجَّهًا
وَبِفِكَ هَذَا الرَّمَزِ تَظْهَرُ رُتَبَتِي فَلِي الْجَمَالُ إِذَا أَفَاضَ جَمَالُهُ
وَزُظْهُورُ بَدَنِي لِلْعُهُودِ لِأَحْتَسِي فَأَنَا الْجَمِيلُ مُجَمَّلٌ بِمَحَاسِنِ
وَأَنَا الدَّنِيءُ بِنَشَأَتِي الْأُولَىٰ بِهَا رُتَبُ الْوُجُودِ جَلِيهَا وَخَفِيهَا
فَيُرَى جَمَالُ تَقَرُّبِي فِي قُرْبَتِي فَأَحْجُ قَصْدًا لِلرُّجُوعِ لِمَبْدَئِي
وَلِتَظْهَرَ الْمَجَلَىٰ بِذِي الْآيَاتِ رُتَبُ الْوُجُودِ بِسَلْبِهَا الْإِثْبَاتِ
بِجَمَالِهِ وَجَلَالِ مَجَلَىٰ الذَّاتِ هُوَ سِرُّ إِيْجَادِي بِسُورِ جِهَاتِي
مُتَجَمَّلٌ بِالْآيِ فِي الْكَلِمَاتِ وَجْهِي إِلَيْهِ بِهِ لَهُ إِخْبَاتِي
هِيَ كَنْزُهُ طَلَسْمُهُ صَلَوَاتِي بِجَمَالِهِ تُخْفَىٰ بِهِ هَيْئَاتِي
رَاحَ الصَّافَا مُتَجَمَّلًا بِصِفَاتِي مِنْهُ لَهُ فِيهَا أَلَمَمَاتُ حَيَاتِي
ظَهَرَ الصَّيَاءُ بِرَسْمِي الْمَشْكَاةَ مُثَلِّ لِدَاتِي وَهِيَ كَالْمِرَاةِ
مُتَسَاتِرًا بِتَنَوُّعِ الطَّاعَاتِ وَجْهَادُ نَفْسِي مَبْدَأُ الْقُرْبَاتِ

أسرار العبادة وحكمتها

عند المالكية لا يصح إمامة من يأخذ أجراً على الإمامة، وقد أحلها أبو حنيفة أجرة تعطيل وقته عن شغله بالمعاش، ولكن عند المالكية إذا صلى الله وأعطوه كان حلالاً وإذا تكون على نية الهدية وإلا كانت حراماً، قال ﴿﴾: "إنما الأعمال بالنيات" [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه]. والرجل الذي لا يصلي إلا بشرط الأجر لا يجوز إمامته؛ لأنها ليست لله ولكنها معللة بأخذ الأجرة من الناس فإذا خرجت الصلاة عن كونها خالصة لله.

وقد قال تعالى: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥). وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣). والواجب على أهل بلده أن يعطوه على نية الصدقة إن كان فقيراً، أو على نية الهدية إن كان محتاجاً إليها. أنظر في عبادات أهل السلف وعلمهم وسعيهم وراء العلماء العارفين، حتى انكشفت لهم معاني الأحكام الشرعية، وتبينت أسرار العبادة وحكمتها لهم.

نَوْعُ الْأَحْكَامِ رَمَزَ الْإِتِّحَادُ فَأَنْجَلَتْ حِكْمَتُهُ بِالْإِنْفِيقَادِ
نَوْعُ الْأَحْكَامِ كَيْ يُجَلَّى بِهَا نُورُ أَسْمَاءِ التَّجَلِّيِ بِاعْتِقَادِ
أَظْهَرَتْ أَحْكَامُهُ حِكْمَتُهُ تَجَذُّبُ الرُّوحِ الْعَلِيِّ بِانْفِرَادِ
نَوْعُ الْأَحْكَامِ يُبْدِي كَثْرَةً أَثَبَّتْ عَدًّا وَقَدْ مَحَتْ التَّضَادَ
بَيْنَ صَوْمٍ لِلتَّجَرُّدِ جَاذِبٍ لِاقْتِرَابِ وَاتِّصَالِ لَا بُعَادَ
فِيهِ نَارٌ أَحْرَقَتْ كُلَّ السَّوْءِ بَلْ وَنُورٌ قَدْ يُلَوِّحُ لَدَى الْجِهَادِ
لِلرِّيَاضَةِ بَدْوُهُ وَالْإِنْتِهَاءِ لِلْفَنَاءِ عَنِ الْقُصُودِ عَنِ الْمُرَادِ
ثُمَّ صَوْمِي بَعْدَهَا عَنِّي بِهِ جَذْبَةٌ لِلْقُدْسِ قَدْ مَحَتْ أَرْتِدَادَ

صَوْمُ تَشْبِيهِ بِمَلَكُوتِ سَمَا
صَائِمٌ لَا صَائِمٌ إِنْ أَشْرَقَتْ
لِي صَلَاةٌ فِي صِيَامِي مُقْتَضَى
مَيَّزَتْ قَدْرِي بِحِصْنِ عُبُودِي
لِي شُهُودٌ حَالِ حَجِّي وَجَهْتِي
نَوْعَ الْأَحْكَامِ إِظْهَارًا لِمَا
أَظْهَرَ الْحُكْمَ لِيُظْهَرَ حَاكِمًا
أَثَبْتَ الْحُكْمَ أَنَا فِي دَوْرَتِي
فِي نُورِ الْقُدُسِ لَوْلَا حُكْمُهُ
حُكْمُهُ حِصْنُ الْأَمَانِ لِرُبُّتِي
صِرْتُ عَبْدًا فِي عُبُودَةِ نَشَأَتِي
حُكْمُهُ عَدْلٌ بِهِ جَذْبِي إِلَى
وَهُوَ قَيُّومٌ حَكِيمٌ قَادِرٌ
وَالصَّيَامُ لَهُ وَفِيهِ مَبْدَأٌ
لَمْ يَصُمْ أَحَدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنْ
كُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ أَشْرَكُوا
فَهُوَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ جَزَاؤُهُ

فِيهِ جَاوَزْتُ الْمَقَامَ إِلَى الْجَوَادِ
شَمْسٌ وَحَدِيثُهُ تُضِيءُ عَلَى الْعِبَادِ
حِكْمَةُ الْإِبْجَادِ تُنْبِئُ بِالرَّشَادِ
وَهِيَ رَوْحٌ لِي وَخَمَرٌ بَلٌّ وَزَادِ
حَضْرَةُ الْقُدُسِ بِلَا حَجَبٍ ابْتِعَادِ
تَقْتَضِيهِ رُبُّتِي فِي كُلِّ وَادِ
إِذْ أَنَا الْعَبْدُ فَيُولِينِي الْوِدَادِ
كَأَدِّ يَمَحِيهَا شُهُودِي فِي الْجِهَادِ
يَنْمَحِي عَبْدٌ بِمَحْوِ الْإِعْتِقَادِ
أَثَبْتَ الثَّانِي جَلِيًّا لَا عِنَادِ
وَهُوَ هُوَ الْقَاهِرُ جَلٌّ بِالْإِنْفِرَادِ
حَضْرَةُ الزُّلْفَى إِلَى غَيْبِ اتِّحَادِ
قَوْمَ الْمَبْنَى فَصِرْتُ لَهُ مُرَادِ
حَيْثُ كَانَ السَّرُّ غِيًّا غَيْرَ بَادِ
مَبْدَأِ التَّكْوِينِ فِي كُلِّ الْعِبَادِ
غَيْرُهُ فِيهَا سِوَى الصَّوْمِ الْمُنْفَادِ
مَشْهُدُ الْوَجْهِ لَدَى يَوْمِ الْمَعَادِ

شتان بين الواجب الشرعي ونوال الرضا

الواجب الشرعي عمل العقل الذي إذا قصر عنه لا يكون له حظ في الدين، ومن حافظ على الواجب فهو مسلم من عامة المسلمين، وبه ينال الجزاء بقدر صدقه في تأدية الواجب، وإنما ينال مرضاة الله تعالى من لم يقف به العزم إلى حد الواجب،

بل سارع في القربات، وبادر إلى النوافل بكل أنواعها، فتقرب إلى ربه ببذل كل عظيم من مال، وزمان، وشرف، وشهرة، وعلو في الأرض، وعافية، وقوة، وغير ذلك، بسرور، وانشراح، ومداومة، وتجرد، ومزيد، غير واقف عند ما بذل، بل يقيّنه بمقام المتقرب، صغر في عينه كل قرينة وعمل ومال، فكان في كل نفس يزداد إقبالاً ومسارة، ويزداد على تحمل العناء والتعب سروراً ونشاطاً، طارحاً كل جزاء وشرف ورفعة في الدنيا وملك ونعيم في الآخرة وراء ظهره شوقاً وتمنياً لنوال حظوة، أو رضوان من الرب الرؤوف الرحيم، وبهذا ينال العبد رضوان ربه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتَغَاءَ رِضْوَانٍ اللَّهِ﴾ (الحديد: ٢٧). فالواجب واجب لشكر النعم والإقرار بالعبودية، وإنما نوال الرضا لا يكون إلا بأن يرخص في عينيك كل نفيس في جانب بذله للقرب ونوال الرضا.

أنواع القرب

القرب قربان: قرب نسب، وقرب طلب، فقرب النسب للمصطفين الأخيار، وقرب الطلب للمجتبين الأبرار، فقرب النسب قوامه اليقين ومزاجه العلم، وقرب الطلب قوامه العمل ومزاجه العلم، فإذا كاشفك بحقيقتك التي هي أنت أثبت نسبك، وإذا علمك الأدب له بشرك بحبه لك وهناك كمال الفصل. وكمال الفصل هو أعلى مقامات الوصال، وقرب الطلب الذي هو للمجتبين الأبرار، هو أن تسارع أنفسهم إلى محبوب ممدود بقدر همهم، ومتى لم يصف مشرب التوحيد حجب الله القوم عن علم أنفسهم فجهلوا أنفسهم إلى الحقيقي، الذي يوقعهم في المشوية فينظروا بكمال أنفسهم إلى محبوب هو نهاية ما علموا في الوجود، فيجعلوا ربهم وسيلة لنيله لأنهم اعتقدوا أنه منفرد بالعطاء والهبة والتفضيل، فزهّدوا

في الكون لينالوا الجنة، وتورعوا عما في الدنيا لينعموا بنعيم الدار الآخرة، وهذا هو الشرك الأخفى، وقد بينه القرآن جلياً ودعا إليه، لعلمه سبحانه وتعالى بمقادير النفوس التي خلقها وأهلها لما قدره لها، وما الله بظلام للعبيد، والسعيد حقاً من أثبت الله له نسبه به فقال الله ربي أو ربي الله، فإن قال بوجد الله ربي فهو المتمكن، وإن قال بوجد ربي الله فهو المتلون، وهذه هي أنواع القرب، فقريب من الله تعالى بالعبودة الخاصة، وقريب من الجنة بالزهد والورع لها، وقريب من الحساب للشوب في الدنيا، وقريب من العقاب للغفلة فيها، وليس من قربه الله منه كمن تقرب إليه بنفسه.

صلاة الله وصلاة العبد

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

(الأحزاب: ٤٣). الصلاة منا شكر على نعماء، واعتراف بألوهيته وعلاؤه، والصلاة منه سبحانه مزيد فضل فوق فضله بالإيجاد والإمداد بما هو أهل له، لا تقتضيه الحقائق ليخرجنا من ظلمات مقتضيات حقائقنا بفضله العظيم الذي هو أهل له،

(وإلى النور) نور ملكوته الأعلى الذي بدأ منه الحقيقة الإنسانية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ (المائدة: ٥٤). لا تقتضيه حقائقنا ولا نستحقه، قال رسول الله

ﷺ: "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا،

إلا أن يتغمديني الله برحمته" [رواه البخاري وابن ماجه والدرامي، وأحمد]. وقال

تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (المجادلة: ٢٢). وصلاتنا له سبحانه لا تقتضى صلاته علينا،

فإن صلاتنا له تفضل منه اقتضاء شكر النعمة ومعرفة النفس، ونعماء لا تحصى، فكيف يقوم بشكرها الخلق أجمعون فضلاً عن واحد منهم؟ ونهاية الشكر العجز عنه، وكما أن صلاتنا له سبحانه وتعالى فضل منه، فصلاته علينا فضل فوق الفضل، وكم لله من فضل على المؤمنين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الأحزاب: ٤٢). من ذاق حلاوة صلاة الله عليه عرف مكانته من الوجود، فعزت مكانته عليه أن تذلل لغير

الله تعالى، أو أن تقف دون أكمل ما أهل الله الإنسان لنيله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (ص: ٢٤). صلى عليك بهويته ليجذبك إلى الغيب المصون، فتفر منك ومن سواه وما سواه إلى الغيب، فتحفظ الأدب في الطلب، وتلزم المكنون.

وصلى على حبيبه ومصطفاه بأحدية ذاته؛ لتعلم قدرك في جانبه ﴿﴾ فتحفظ الأدب في الطلب، وتلزم هذا الجناب ليسقيك طهور الشراب وتدوم على المحافظة على الاتباع خوفاً على النفس من الضياع، فإنما صلاته عليك بعد أن وهبك حسن الاتباع له ﴿﴾، وما دامت الشمس طالعة فالنهار موجود، فأدم إشراق تلك الشمس على جوارحك المجترحة، وعلى قلبك؛ ليجتبيك بحبه، والله ولي المؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

قَبْلَهُ أَلْعَارِفِينَ حَالِ الصَّلَاةِ وَجْهٌ مَوْلَى مُنْزَرِهِ عَنِ جِهَاتٍ وَهُمْ قَبْلَهُ لَهُ إِذْ يُصَلِّي بِحَنَانٍ عَلَيْهِمْ وَلِلنَّجَاةِ فَصَلَاةٌ لَهُ وَمِنْهُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجَتْهُمْ فَضْلاً مِنَ الظُّلُمَاتِ وَقَفُّوا خَاشِعِينَ ذُلًّا فَصَلُّوا وَاجْهُوا أَلْوَجْهَ لَا مِنَ الْمِرَآةِ

مِنْ ظَلَامِ الْأَوْهَامِ أَوْ قَيْدِ عَقْلِ أَخْرَجَتْهُمْ لِلنُّورِ مَجَلَى الذَّاتِ
 قِبْلَةُ الْعَاشِقِينَ أَيْنَ يُؤَلُّوْنَ وَجُوهَهُمْ مُوْ فَلِلْمَشْشَكَاةِ
 نُورُ وَجْهِ أَضَاءَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَهُ الْكُلُّ مَظْهَرُ الْآيَاتِ
 قِبْلَةُ الْوَاصِلِينَ كَعَبَّةُ رُوحٍ فَردُ ذَاتِ الْعَلِيِّ فَيُضُّ الْهَبَاتِ
 قِبْلَةُ السَّالِكِينَ بَيْتٌ عَتِيقٌ مَهْبَطُ النُّورِ مَنْزِلُ الرَّحْمَاتِ
 وَالْمَعَانِي جَمِيعُهَا إِنْ أَضَاءَتْ لِمُرَادٍ فَذَاكَ عَيْنُ الْحَيَاةِ

الشكر عمل

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: ٣٤).

إذا شهدت مقتضيات البشرية، منفعة بنار الإبلسية في غيرك، فابدأ بأن تشكر الله على ما تفضل به عليك من جمال الأخلاق، وما طهرتك منه من مقتضيات

حقيقتك، ثم اجتهد أن تزيل الشيطان عن ملكه ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

فِي نِعْمَةِ الْجِسْمِ عَجَزِي ثُمَّ عَنْ شُكْرِي قَدْ صَحَّ لِي بَعْدَ بُرْهَانٍ مِنَ الْخُبْرِ
 شُكْرِي لَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ بِهَا رُوحِي قَدْ طَالَبْتَنِي بِتَمْجِيدٍ عَلَى الشُّكْرِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُوْلِي الْبِرِّ وَالنُّعْمَى مِنْهُ لَهُ حَيْثُ عَجَزِي مُقْتَضَى قَدْرِي
 لَمْ أَحْصِ نِعْمَكَ عَدًّا كَيْفَ أَشْكُرُهَا؟! أَنْتَ الشُّكُورُ فَزِدْنِي نِعْمَةً الْخَيْرِ
 أَوْلَيْتَنِي النِّعَمَ الْعُظْمَى فَجَدَّدْ لِي مَزِيدَهَا سَيِّدِي فِي الْحِلِّ وَالسَّيْرِ
 أَعْصِي فَتَمْنَحْنِي عَفْوَاً وَعَافِيَةً أَعِيبُ تَسْتُرُ عَيْبِي مِنْكَ بِالسَّتْرِ
 أَسِيءُ تُحْسِنُ يَا مَوْلَايَ تَغْفِرُ لِي تُنِيلُنِي مِنْكَ خَيْرَ الْجُودِ وَالْغَفْرِ
 مَوْلَايَ وَفَّقْنِي وَالْقَلْبَ عَمَرَهُ بِالْحُبِّ وَأَشْرَحْ لِي يَا سَيِّدِي صَدْرِي
 جَهَلْتُ عِلْمَنِي مَا لَمْ أَكُنْ قَبْلًا عِلِمْتُهُ لَمْ أَكُنْ يَا سَيِّدِي أَذْرِي

إِلَيْكَ فَأَجِدْنِي بَلْ مِنْكَ قَرِّبْنِي هَبْ لِي الْغَطَايَا وَيَسِّرْ سَيِّدِي أَمْرِي

نعم الله والشكر عليهما

أشهد نعم الله عليك التي لا تحصى فيما تشهده من كل المراتي، وسارع إلى الشكر عليها ليمنحك المزيد منه، فإذا وجدت فضلاً عظيماً على عبد من عبيد الله لم يمن الله به عليك، فاشكر الله أولاً على أن تفضل به على أهل عصرك، ثم تأدب لله في ذات المتفضل عليه؛ لتتشبه به، أو تكون أنت هو اتحاداً، وقصداً، وميولاً، وعملاً، فإنما يشهد الفضل العظيم من أهل له، واحرص على صغير المكارم كما تحرص على كبيرها، فإن صغيرها قد يحل في محله فيقابل من الله بخير القبول، فإن العظيم سبحانه إذا قبل أصغر الأعمال في نظرك، جازى عليها بأعظم العطايا والمنن، وإنما المراد القبول لا الإقبال، قال ﴿﴾: "كم من صائم ليس له من صيام إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب" [رواه أحمد والدرامي وابن ماجه].

حقيقة الشكر

قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (سبأ: ١٥).

وحقيقة الشكر ألا تستعين بنعمة الله على معصيته، وأن تستعمل كل عضو فيما خلق له من الطاعات، فتصون الجوارح السبع من المحرمات والمكروهات؛ لتغلق عنك أبواب جهنم السبعة ذات الدركات، فإذا استخدمتها فيما خلقت له من العبادات والطاعات بحضور الرئيس وهو مضغة القلب بالإخلاص، فتحت لك

حَصْرُنَا أَلَاءَ فَرَضِ الْمُسْتَحِيلِ مِمَّ التُّعْمَىٰ وَقَدْ وَضَحَ السَّبِيلُ
 فِي السَّمَاءِ فِي الْأَرْضِ فِي أَنْفُسِنَا يَسْتَحِيلُ الْحَصْرُ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ
 أَشْكُرُنْ نَفْسَكَ عَنَّا سَيِّدِي أَكْمَلِ التُّعْمَىٰ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ
 مِنْكَ إِيجَادُ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا مِنْكَ إِمدَادُ زُلَالِ السَّلَسِيلِ
 قَبْلَ هَذَا أَلْكَوْنِ كُنْتَ وَلَمْ تَزَلْ وَهُوَ فَضْلٌ مِنْكَ يَا نِعَمَ الْوَكِيلِ
 أَنْتَ يَا نَبِيلُ وَيَا أَرْضُ سَمَاءَ كُلُّ مَا فِيكَ لِأَدَمَ وَالْقَبِيلِ
 وَالَّذِي أَوْلَاهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَزَّ فِي قُدْسِ النَّزَاهَةِ عَنْ مَثِيلِ
 فِي غِنَى الْإِعْطَامِ عَنْ آثَارِهِ وَهِيَ فِي ذُلِّ اضْطِرَارٍ فِي عَوِيلِ
 طَمَئِنَّ قَلْبِي بِمَا تُجْلِيهِ لِي مِنْ يَقِينٍ فِي صَفَا الظَّلِّ الظَّلِيلِ
 وَأَشْرَحَنَّ صَدْرِي وَيَسِّرْ أَمْرِي بِالْعَطَا تَوَلِيهِ لِلْعَبْدِ الذَّلِيلِ
 أَبْنَانِي سَيِّدِي الْآثَارُ عَنْ قُدْرَةٍ عَنْ حِكْمَةِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ
 فِي مَشْيِي فِي سِقَامِي وَاجْهَنْ عَبْدَكَ الْفَانِي وَوَضَّحْ لِي السَّبِيلِ
 أَصْلِحِ الْأَوْلَادَ هَبْ فَضْلًا رِضًا لِي وَلِلْأَوْلَادِ إِنَّ حَانَ الرَّحِيلِ

الباب الخامس

كشف أسرار القدر

المقدر كائن

إذا انبسط لك فكن أنت أنت، وإذا انقبض فانبسط له، وكن أنت به وله، فإن تجليه لم يوجبه جهادك وشهودك، فإنه أعز وأعظم من أن يتجلى لمقتضى عمل أو شهود أو حال ولكن ذلك تقدير العزيز الحكيم، كما أنه جل جلاله لا يرضيه عن خلقه عملهم، ولا يغضبه عليهم عملهم، ولكن نظر إلى قوم بعين الرضا أزلا فأقامهم في محابه ومراضيه، ونظر إلى قوم بعين السخط فأقامهم في مخالفاته ونواهيته.

كراهية الله لشيء

(إنه لم يقدره أو انتهاء ظهور ما قدره)

الكراهية بالنسبة لله تعالى لا تتصور إلا بمعنى واحد، وهي أنه جل جلاله لم يرد الشيء تكويناً أمر به سبحانه أو نهي عنه، وبهذا الميزان نزن ما يناسبه من المعاني الإلهية، كالعلم فإنه إذا علم شيئاً أَرَادَهُ وقدره، ولا يعلم سبحانه وتعالى إلا الحق، وقد يريد الشيء تكويناً وهو باطل فلا يعلمه بل يكون تكون ذلك الشيء سبباً لظهور عدله جل جلاله، كما أراد سبحانه أن يظهر بالعدل منتقماً قهاراً لمن جهلوا أنفسهم، وجهلوا الفضل عليهم بمعاني صفات الربوبية فأسندوها لأنفسهم وهما وتخيلاً، وكذباً على الله تعالى، ونسياً لحقيقتهم المحسوسة الملموسة، بعد علمهم النشأة الأولى، وبعد تعيين افتتاح وجودهم من ماء مهين في قرار مكين معلوم، وقتل الإنسان ما أكفره، مثال ذلك: المال والعوافي وتنفيذ الكلمة، فظنوا قدرتهم على إيجاد ملائمتهم من حظ وشهوة وانتقام وكبرياء وعلو في الأرض بغير الحق، فاستدرجهم الله - أعادنا الله من استدراج - فظنوا أن العوافي والمال وتنفيذ

الكلمة لهم بذاتهم وأنه دائم، كفرعون وقومه الذين هم أشبه به إلى يوم القيامة، لأنه أول من سن تلك السنة الشنعاء فاعتقد بقلبه ونطق بلسانه أعوذ بوجه الله من العمى والعمه، وكل ذلك لا يعلمه الله تعالى، والذي يعلمه الله سبحانه وتعالى أن فرعون عنده ظالم لنفسه، مغرور بما آتاه الله من الزينة والأموال فضل بها وذل، حتى انتقم الله منه عدى قال تعالى ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩). فكذاك إذا قدر الله تعالى قدرا أظهره، حتى لو سأله ملايين الأتقياء أن يغيره لم يغيره حتى ينفذ قدره جل جلاله، وتكون الحكمة في ذلك إظهار عدله وفضله، وإظهار عدله جل جلاله بالانتقام ممن قدر عليهم الظلم لأنفسهم ولعباده، وإظهار فضله لمن وفقهم فصروا فسلموا الأمر إليه فتوكلوا عليه، ويكون معنى كراهية الشيء أنه لم يقدره، أو انتهاء ظهور ما قدره، والمثال في ذلك إعطاء الله أوربا زينة وأموالا في الحياة الدنيا ليعجل العقوبة على من غيروا ما بأنفسهم من موجبات إحسانه وفضله، فيفتنهم ويختبرهم بتسليط أعدائه عليهم، ثم يجعل هذا التسليط سببا قائما في رفع من شاء رفعه إلى مقامات القرب بالصبر على القيام بأمر الله تعالى والرضا بقدره، ويكون بلاؤهم هذا طهرة لهم ورفعاً لمقامهم، ويكون بالنسبة لغير أهل الصبر والرضا قهرا لهم ليلتجئوا إلى الله ويرجعوا إليه بعوامل القهر الملحثة إلى الله تعالى، وهذا هو فضله على عباده لأن المصيبة في الغالب إذا نزلت تعم فتلهك الظلمة في الدنيا والآخرة، وتؤلم غيرهم في الدنيا وتنجيهم يوم القيامة؛ لأنها ترجعهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

وتغييرهم ما بأنفسهم بقدر الله تعالى، فإنه تعالى إذا أراد الخير لقوم وفقهم وهداهم وأيدهم، وإذا أراد السوء بقوم أضلهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا

مَرَدَّ لَهُ ۞

وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥). وليست كراهية الله تعالى الشيء ككراهيتنا له، فإننا نكره الشيء لأنه يؤلمنا أو يضرنا أو يسلب منا بسببه ملاءم أو ضروري أو كمالي، والله تتره وتعالى عن أن يضره شيء فيكرهه أو ينفعه شيء فيحبه، وكراهيته للشيء أنه لم يقدره جل جلاله، وحبه للشيء أنه أمر به وجعله خيرا لعباده وسببا لنيل فضله وإحسانه، وليس للعبد في ذلك حول ولا قوة، فالعبد مظهر لإبراز ما قدره سبحانه ليظهر الله ربا فاعلا مختارا علم العبد بذلك فرفعه الله بعلمه، أو جهل فأهلكه الله بجهله، والله تعالى لا يعلم إلا الحق فيعلم أنه رب العالمين، وأن العالمين جميعا عبيد مقهورون وعباد مربوبون، وخلقهم من العدم بعد أن لم يكونوا، وأبرزهم ليبرز قدره المكون هداية وضلالة وكفرا وإيمانا قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِلْعَيْدِ﴾ (ق: ٢٩).

الفصل الثالث

الابتلاء والبلاء

إنما ابتلي سبحانه وتعالى بالخير والشر، لإظهار سر القدر، بعد أن وضح النجدين بصحيح الأثر، وأكمل المقامات بلاء ليصح عن غيرها الفناء. قال الحبيب الأكبر صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ وإن بساط المؤانسة لبلاء، فطوبى لمن تحمل بأدب العبدية عندما يجمله الحق بحلل العنودية، والعبد عبد وإن علا وتكمل، والرب رب وإن تفضل وتزل، وما شرح الله صدر عبد مسلم لله إلا وقد قدر له من الخير ما به علاه، ولا منح عبدا حبة من الحبة إلا وقد سبقت له من الله محبته إياه، وبعبارة سبحانه والاه، ومن شهود جماله أولاه. قال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

الفصل الرابع

مرض الكبر

عجبت كل العجب لقلب المؤمن المفطور على الخير، كيف يدخل الكبر فيه، وهو يعلم أنه إنسان فقير، وعاجز، وسيموت؟ وكيف يكون عاجزاً، وهو يتألم من قرصة برغوث، أو ناموسة، وربما يحمل البرغوث أو الناموسة المرض فالموت، ومن أدرك وفهم ورفض أن يدخل الكبر قلبه..، ولن يكون ذلك إلا بعلم موهوب، أو علم مكتسب بالرياضة، وذكر، وفكر، فسارع وجاهد.

الفصل الخامس

السعاية الفاسدة

النفث في العقد: ثم يقطع الروابط التي تصل الناس بعضهم ببعض بالسعاية، والسعاية فيها معنى الإفساد في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾، (البقرة: ٢٠٤). والصدق يحمد من كل قوم إلا من النمامين، وهذه الفضيلة تنقلب منهم رذيلة، قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، (المائدة: ٦٤).

وقال ﴿﴾: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ). [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد].

أي نمام. وقال ﴿﴾: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ، قَالُوا مَا الْقَاطِعُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿﴾: (الْقَاطِعُ مَا بَيْنَ النَّاسِ)، [رواه مسلم وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي]. وفي رواية: إِنَّهُ قَاطِعُ الرَّحِمِ. وقد قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (رضوان الله عليه) وقد رأى طائفة من هؤلاء النمامين الساعين بالشر: (لَا مَرْحَبًا لِّلْجُوهِ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا فِي الشَّرِّ). وقد قال الله تعالى مقيما النميمة والسعاية: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ

هَمَزَةٍ لُّمَزَةً﴾، (الهمزة: ١). وقال ﴿﴾: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمٍ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَارَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الْمَشَّاعُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْمُتَمَلِّسُونَ لِلْبُرَاءِ

الْعَيْبَ)، [رواه أحمد وأبو داود]. وقال ﴿﴾: (مَنْ أَشَاعَ عَنْ مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيُشِينَهُ بِهَا شَأْنَهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ)، [رواه أحمد في الجزء الثالث صفحة ٤٤١، وأبو داود في كتاب الأدب الباب ٣٦].

توالي الغفلة

إذا نسي العبد ربه بتوالي الغفلة والسهو والاشتغال بغيره، عميت عين بصيرته، وأطفئت أنوار فكرته، فارتكب كبائر الرذائل وصغيرها من دناءات القبائح الحيوانية والإبليسية، وتحرى أن يأتي كل تلك الرذائل في غيبة عن الناس. متيقنا أنه ليس وراء الناس وراء، فإذا قضى رذائله وتحقق أن أحداً من الخلق لم يطلع عليه فرح، وحصل له السرور، معتقداً أنه نال أملاً بلا معاقبة عليه ولا سؤال، وذلك من ظلمة قلبه بسخائف الحظ والهوى. وما يدرى المسكين أن الجبار المتكبر المطلع على ما تخفي الأنفس، وما توسوس به الصدور، وعلى أخفى من ذلك، وأحصى ذلك وكتبه عليه، وشهد به عليه أعضاؤه والمكان الذي فعل فيه، ويعجل له العقوبة في الدنيا. فلو أن الإنسان تأمل بعين فكرته، ونظر ببصر العبرة، لعلم أن الذي أبدع الكائنات وصرف الرياح، وسخر السحاب، وأجرى الأنهار، وزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، هو الذي أمر وحكم، وأن المعصية مخالفة لأمره وحكمه، وقد أوعدها بالعذاب والحساب. فعليك أيها الجاهل بأيام ربك، الغافل عن مالك ومرجعك، أن تتوب إلى الله متاباً، وترجع إليه سبحانه نادماً، وتسأله أن يقبل توبتك، ويوفقك للعمل الذي يرضاه منك، إنه يقبل التوبة عن عباده ويغفر الذنوب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لِي نَوَايَا صَرَفْتُهَا فِي الشُّرُورِ غَيْرَ أَنِّي أَوَّلْتُهَا بِالنُّورِ

ذَا لِأَنْيِّ عَلِمْتُ رَبِّي غَنِيًّا لِي قَلْبٌ قَدْ أَطْمَأَنَّ بِمَعْنَى
 أَعْمَلُ الذَّنْبَ طَامِعًا أَنَّ رَبِّي كَيْفَ يَأْسِي وَاللَّهُ جَلَّ حَلِيمٌ
 لَوْ أَرَادَ الْعَذَابَ عَجَلَ لَكِنْ جَمَلَ الْقَلْبَ بِالْهُدَى تَوْحِيدِ
 نُورُ تَوْحِيدِهِ بِقَلْبِي مُنِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ آيَاتُ بُشْرَى
 أَعْجَزْتَنِي جَوَارِحِي عَنْ هُدَاهَا أَقْبَلَنُ تَوْبَتِي وَبَدَّلْ ذُنُوبِي
 أَشْهَدْنِي فِي مَصْرٍ خَيْرًا وَأَخِي وَأَنْشُرَنُ بِي أَسْرَارَ مِعْرَاجِ طَهْ
 أَخِي شَرَعَ الْمُخْتَارَ شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَلَى سُنَّةِ الْقُرْآنِ أَمْتِي
 لِي ذُنُوبٌ لَمْ تُنْسِنِي لِأَنْيِّ وَالشَّفِيعُ الْمَرْجُو فِي يَوْمِ هَوْلٍ
 يَا مُرَادًا لِلَّهِ أَنْتَ شَفِيعِي لِي تَشْفَعْ عِنْدَ الْغُفُورِ وَسَلُّهُ
 وَعَطَايَا فِي دَارِ دُنْيَا تُوَالِي وَجَمَالَ الْوُصُولِ فِي دَارِ أُخْرَى
 فِي جِوَارِ الْأَنْصَارِ وَالصَّحْبِ أُعْطَى

عَنْ نَوَايَا بِالْقَضَا الْمَقْدُورِ مِنْ مَعَانِي جَمَالِهِ الْمَوْفُورِ
 يَمْنَحُ الْعَفْوَ مِنْ كَرِيمٍ غُفُورِ أَوْ قُتُوطِي مِنْ غَافِرٍ أَوْ صَبُورِ؟!
 حِلْمُ رَبِّي أَحْيَى بِفَضْلِ ضَمِيرِي رَحِمَ - حَمْدًا لَهُ - بِخَبِّ كُفُورِ
 وَقَبِيحُ الْأَعْضَاءِ غَيْرُ يَسِيرِ ﴿يَا عِبَادِي﴾ فَأَقْرَأْ بِقَلْبِ كَسِيرِ
 أَهْدِنِي سَيِّدِي بِفَضْلِ الْقَدِيرِ بِجَمَالِ الْإِحْسَانِ خَيْرِ الْمَصِيرِ
 بِي لِيَالِي الْإِسْرَاءِ بِنُورِ النَّوْرِ وَاجْمَعْ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّقْدِيرِ
 أَظْهِرِ الشَّرْعَ بِالسَّرَاجِ الْمُنِيرِ مَقْعَدَ الصَّدَقِ فَأَجْعَلْنَهُ مَصِيرِي
 مُطْمَئِنِّ بِعَفْوِ رَبِّ قَدِيرِ قَدْ أَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامِ نَصِيرِي
 عَظَمَ الذَّنْبُ كُنْ حَبِيبِي ظَهِيرِي غُفِرَ ذَنْبِي كَبِيرِهِ وَالصَّغِيرِ
 مِنْ لَدَيْهِ بِوُسْعَةٍ تَسِيرِ فِي رِيَاضِ الصِّفَا لَدَى الدِّيْهُورِ
 رُؤْيَا الْوَجْهِ فِي كَمَالِ الْحُضُورِ

الفضيلة لا تتجزأ

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: ٨).

إن الأمم عندما تضل، فيجمع هواها، ويلتاث ضميرها، قد تمجر بعض أوامر الله، وتقع في محارمه سفاهة وتعمدا، وهذا بلا شك طريق الكفران والخسران. وقد حكى الله ذلك عن بني إسرائيل، ناعياً عليهم تفرقتهم التي جعلتهم ينفذون جزءاً من ميثاق ربهم ويهملون آخر: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُمْ هُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾، (البقرة ٨٤: ٨٥).

ولا يعد المؤمن مؤمناً إذا قبل بعض الفروض وجحد بعضها الآخر، أو قرر العمل بجانب من الدين وترك جوانب أخرى، ولا شك فهو في منزلة الكافرين بالدين كله.

والفضيلة لا تتجزأ؛ فالصدق يكون في كل الأمور، ومع جميع الناس، وكذلك العدالة والأمانة. ولا يعد امر ما فاضلاً إذا كان أميناً في بعض الأحوال، وخائناً في

البعض الآخر.

إن استخدام نصوص الشريعة الإسلامية في تبرير محدثات الغرب، فكرية كانت أو اجتماعية، هو شر من تقليد هذه المبادئ تقليداً أعمى؛ لأن الناس لا يمكن أن يعيشوا على أمل التخلص من الدخيل إذا قامت فيهم حركة أصيلة للإحياء. أما في حالة الاندماج والتفاعل، فإن إدراك الفوارق بين الأصيل والدخيل تدق وتنفى، حتى لتكاد تستحيل، لأن الناتج من التفاعل سيكون شيئاً جديداً، معقد التركيب، وتختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له. على أن الناس يدركون في حالة التقليد أن الذي ينقلونه شيء آخر غير الإسلام. إن الإسلام روح وجسد، وإيمان ونظام، عقيدة باطنة تشبه الوقود الذي يحرك الآلات، ثم مجموعة الوصايا والأوامر والنواهي والحدود والشعائر التي تسيّر الحياة إلى وجهة معينة، ووفق أسلوب خاص، يتجه إلى المثل العليا، والسلام، والفضيلة، والسعادة.

الفصل الثامن

معارف أهل الطريق

العقل للعبودية لا للإشراف على الربوبية

عجز العقل على أن ينفذ من أقطار السموات والأرض إلا بسلطان الحجة من الله تعالى على لسان عبد من عبيده، صاغ جوهر نفسه من نور القدس وجمال مبناه بجمال الاستواء والعصمة، وهم خيرة أولي العزم لأن العقول إنما خلقها الله تعالى لتقيم الحجة لعباده أو عليهم، بما منحها من التعريف بعلم خواص المادة، ودفع المضار، وجلب المنافع ليمتاز التنوع الإنساني عن بقية الأنواع السافلة. أما ما فوق المادة مما غاب في الكائنات علوها وسفلها، ومن الآيات العلية، والحكم العالية، والأسرار الخفية، الدالة على أحدية الحق، جل جلاله، وعلى تفريده بالإيجاد والإمداد، فهي غيب، في غضون غيبة في آيات، وفي خواص، في كائنات، والعقل إنما أولى قوة، لينوع المادة، ويتسلط على خواصها، وليس له أن يتعدى هذا الطور الذي أعده الله له. وما بقي عليه إلا أن يقبل مكان جاءت الرسل، مما هو حجة مؤيدة بمادة و الكون، وما ظهر من الخواص بالتجربة، وعلى هذا فالإنسان من حيث هو، ليس له أن يحكم على ما فوق المادة، وليس للعقل سلطة على هذا العالم.

جوهر النفس

الإيمان بالغيب برهان على صفاء جوهر النفس والقابل من الله تعالى، والإنكار دليل على أن جوهر النفس من أرادا الجواهر، ولا تقبل عن الله مهما قامت الحجة، وأيدتها المعجزة، ووضحتها المحجة وأيدها النفع بالقبول والضرر بالإنكار

الافتراء والظلم

من تعدى الحس، ونظر إلى ما تكرم الله به على خلقه، وأخفى فيه خفي المكر، وأظهر فيه خفي اللطف، وحكم على الله أن له مثيلاً، أو نظيراً، أو هو المسيح بن مريم، أو شمس أو قمر أو حجر أو مدر، أو أنه صورة، أو هيكل، فقد افترى أكبر فرية على الله - تعالى - وظلم نفسه لما عظيمًا، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، (الكهف: ٥٠).

أي أذعنوا له بالعبودية والاستعانة من دون الله تعالى الإله المعبود بصدق ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ استبداهم دليل على نهاية الظلم لأنفسهم، ثم قسم ظهورهم بالحجة فقال جل جلاله: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، (الكهف: ٥١) إشارة إلى إبليس وجنوده، وشياطين الإنس والجن أثبت عداوتهما من ناحيتين:-
الناحية الأولى: أنهم لعداوتنا يوسوسون إلينا بالغواية.
الناحية الثانية: يوسوسون إلينا بالميل إلى العاجلة ونسيان يوم القيامة فهم أعداؤنا.

الإشراف على سر القدر

تأويل ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سر مرتبط ب ﴿كن﴾ التي هي من سر القدر، وليس للقوى الإنسانية - وإن علت - أن تشرف على القدر حتى يهب الله للإنسان بصراً منه يبصر به، ولساناً يتكلم به، وسمعاً يسمع به، ويبدأ يبطش بها، وتلك القوى موهوبة من الله تعالى، ويكون إشرافه على الحقائق العالية

ليس: إنسانيته، إنما هو بالفضل العظيم، الذي يمن به على كمل أوليائه.

قَفْ عَقْلٌ فَالْأَسْرَارُ فَوْقَ نُفُوسٍ نُورٌ عَلَيَّ لَاحَ مِنْ قُدُوسٍ
الْعَقْلُ يَحْكُمُ فِي الْمَبَانِي أُدْرِكْتَ مَا فَوْقَهَا فَالْعَقْلُ فِي تَلْبِيسِ
الْعَقْلُ رُوحٌ أُسْجِدْتَ لِحَقِيقَةٍ فِي آدَمَ تَخْفَى عَلَى إِبْلِيسِ
لَمْ تَشْهَدْ الْأَمْلاكُ حِكْمَةَ خَلْقِهِ إِلَّا بِنُورٍ فِيهِمْ وَمَغْرُوسِ
سَلَّمَ أَيْعَقْلِي وَسُوحِي نَفْخَتِي فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَالْتَقْدِيسِ
كَيْ تُشْرِفِي حَالَ الصَّفَاءِ عَلَى الضِّيَا فِي غَيْبِ غَيْبٍ فَوْقَ نُورِ شُمُوسِ
اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ تَشْهَدُ ظُلْمَةً غَيْبًا فَلَا يُدْرَى بِكَشْفِ مَسِيسِ؟!
الْغَيْبُ فَوْقَ الْعَقْلِ وَالْأَرْوَاحِ فِي شَوْقٍ إِلَى رَاحٍ بَغِيرِ كُؤُوسِ

الدنيا والآخرة

كثيرا من الناس يجهلون حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، فترى كثيرا منهم يتركون العمل في الدنيا؛ لاعتقادهم الباطل أنها تقطعهم عن الآخرة، فيتركون العمل في الدنيا، وكثير منهم يجهل الآخرة، فيعمل عمل الآخرة لنيل الدنيا وسبب هذا كله جهل الإنسان بنفسه، وبحكمة إيجاده وإمداده، وغفلته عن مبدئه ومعاده. وشر الطائفتين من يعمل عمل الآخرة لنيل الدنيا؛ لأنه باع أنفوس الجواهر بأبخس الأثمان وأن ليس له إلا ما قدره الله.

الدنيا دار التكليف والتعريف، وهي سوق الربح والخسران، وجد فيها الإنسان لينتقل منها إما إلى نعيم مقيم في جوار الأطهار، أو إلى الدرك الأسفل من النار، لأن الله خلق الإنسان على صورة الرحمن، وأعدّه ليكون خليفة عنه، ووهب له العقل لينتفع بما حوله مما هو في السموات والأرض، خزن له سبحانه

وتعالى كنوز المنافع، وخزائن الخير، وأمره أن يعمل لفتح تلك الكنوز، وجلب تلك الخيرات، بحركة عقله وجسمه، وأودع تلك الخزائن والكنوز من غيب آياته، وجلي بيناته ما به يتذكر من تذكر، ويتقرب إليه من تقرب، وينظر إلى المزارع الأرض سوداء جرداء، هابطة هامدة، فيترل الله عليها الماء، ويقوم الإنسان بالعمل اللازم لها، فتهتز الأرض، وتربو، وتحيا بعد موتها، وتلبس حلة الحياة نظراء خضراء، ولو شاء الله تعالى لجعل كل ذرة من قطرات البحار مرقا وسمناء وعسلا، ولكنه خلق الإنسان ليعمل في الدنيا ولتظهر له عجائب حكمة الله، وغرائب قدرته، فيكون عمله في الدنيا للآخرة، وقربه إلى الله تعالى، فإذا ترك الإنسان العمل في الدنيا، فاته من معرفة الله بقدر ما فاته هو - بلا شك - من العمل، والعامل بيده في الدنيا، المتعب فيها لتحصيل ضرورياته، الذي يلحظ في عمل حكمة الله تعالى في إيجاد الدنيا، وسره المكنون فيها من الأدلة والبراهين، فهو مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا العامل في الدنيا يكون مع الله، والله - تعالى - معه، ويكون خليفة عن ربه، لأن الله تعالى أقامه لينفع نفسه وأهله والناس أجمعين، وقطرة عرق في عمل لنيل ضروري في الدنيا خير من الصيام والقيام، وإنما شنع الله على الدنيا، وذمها رسل الله، وأولياء الله لا لذاتها، وإنما المراد بهذا التشنيع، التشنيع على من أفردوها بالقصد، ونسى لقاء الله وحسابه وطلبها من غير وجوها المباحة شرعاً، وإلا فالدنيا دار رسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم) ومهبط وحي الله تعالى، ومترل التقرب إلى الله، وفيها الجهاد في سبيل الله، والحج والزكاة، والصلة، والبر، وأنواع القربات، ومن لم يسعد في الدنيا، فينال فيها رضوان الله، وإحسانه، كان في الدرك الأسفل من النار: قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ، (الإسراء: ٧٢).

الدنيا

جهل الناس الدنيا، فمنهم من ذمها من حيث تمدح، ومنهم من مدحها من حيث تدم، فترى أهل الغواية يمدحونها، ويرغبون فيها، وينافسون فيها منازعة للبقاء، ولا بقاء فيها، فيقولون فلان يملك كذا من الأتيان، وكذا من الأموال و الخيل والعقار، وقد حقر الله الدنيا المذمومة في قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ

الْمُنَاقَبِ ﴿آل عمران: ١٤﴾.

ثم شنع سبحانه وتعالى على أفرادها بالقصد فقال: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، (آل عمران: ١٤). فمن مدحها من حيث التكاثر والتفاخر بالجاه والمنصب والأموال فهو غوى، أو ضال، وهو بين بلايا تتجاذبه، وموت يفاجئه، أو مرض يؤلمه، وكارثه تحتاج ماله، أم عداوة من لا قدرة له عليه، وكل ذلك يؤذن بمفارقة الدنيا، أو بزوالها، فأمثال هؤلاء يمدحونها عن حيث تدم.

أما من يذمها من حيث تمدح فالجاهلون بحكمة إيجادهم وإمدادهم فيها من أهل البطالة والكسل، الذين يكرهون العمل للنفع، فيتركون العمل في الدنيا وفي الدين، فلا هم يشتغلون بتحصيل العلم، ولا بتحصيل المال، فإذا احتاجوا إلى المال، بذلوا ماء وجوههم أو دينهم، ثم جلسوا يذمون العمال من الصنائع، والتجار، والزراع، والعاكفين على طلب العلم، وهذا لجهلهم بحقيقة الدنيا، وهي من وجهة العمل للنفع العام من البر، والصلة والصدقة، والإحسان للفقراء والمعوزين، والحج وإكرام الضيف، ومساعدة الغريب ممدوحة، وهناك مشهد أعلى من هذا وأسمى، وهي أن

يشهد الإنسان بعمله في الدنيا آيات الله الجليلة، فإن كان مزارعاً يشهد آيات الله تعالى بإحياء الأرض بالنبات، وسر إنزال الأمطار، وجري الأنهار، وتصريف الرياح وتسخير السحاب وتأثير الشمس على النبات، وإن كان صانعاً يلحظ قدرة الله، وما أبدعه في العقل من الاقتدار على تنويع المادة، وتحويلها إلى آلات نافعة وأدوات معينة بمعاونته سبحانه وتعالى وينظر إلى جوارحه المجترحه كيف خلقها الله صالحة لكل الأعمال؟! ثم ينظر إلى المادة، وأنواعها من معدن كثير الأنواع صالح الصناعات، ومن غابات تكثر فيها أنواع الأخشاب، ومن مناجم خزن لنا فيها الزيوت النافعة، والفحوم المعينة لنا على الصناعات، وإن كان تاجراً لحظ بقلبه حكمة التبادل، وسر المعاملة، وقدوة الله في تيسير المواصلات، فخشعت القلوب لعلام الغيوب، وحضر العبد مع ربه، وإن كان عالماً ساحت نفسه الطاهرة في ملكوت السموات والأرض، ورجع للعالم أجمع بقوت القلوب، وغذاء الأرواح، وبيان آيات الله العظيمة.

الآخرة

هي أول منزلة للإنسان، وأول دار حل فيها، وشهد مسراتها، وتنعم بملاذها ونعيمها، وبلغ فيها مبلغاً سجدت له فيه الملائكة، ثم أهبط منها، وأبعد عنها والشوق القاهر يجذبه إليها، ثم بين الله على ألسنة الرسل إنها داره التي طرد منها ونأى بمعصية صغيرة عنها؛ فأهبط إلى دار العناء والبلاء، ومثل الوحشة والجفاء، ولا بدله أن يعود إليها، فلماذا لا يتدبر المؤمن حتى يقوى حينه وشوقه؟! ولماذا لا يتذكر أنه حرم من المسرات الباقية، والخيرات المتوالية بسبب معصية واحدة، هي أكلة من الشجرة؟! وقد أيقن أنه لا يعود إلى تلك المسرات، ولا يظفر بتلك الخيرات إذا نسي أنه طرد من دار النعيم المقيم بسبب معصيته، فارتكب المعاصي

في الدنيا، وكيف يظن عاقل أنه طرد من دار المسرات بمعصية صغيرة ثم يعود إليها بعد ارتكاب الكبائر؟

الآخرة دار جوار الله تعالى، ومثلة الفوز بالبقاء في المسرات الدائمة والخيرات الباقية، والدنيا معراج الوصول إليها، ودرجة المسلم في الجنة بقدر عمله في الدنيا للآخرة، وخير عباد الله عند الله أنفعهم لعباده.

يَا قَلْبُ فَكِّرْ تَرَى الدُّنْيَا أَبَاطِيلًا وَأَقْرَأَ أَيَّ قَلْبِي قُرْآنًا وَتَنْزِيلًا
خَلَّ أَلْهَوَىٰ وَادَّكَّرَ فَاللَّهُ مُفْسِدَةٌ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ تُعْطَى الْخَيْرَ مَأْمُولًا
الْمَوْتُ يَا قَلْبُ إِنَّ حَقَّقْتَ نَازِلَةً لَمْ يُبْقِ حَيًّا فَخَلَّ أَلْقَالَ وَالْقِيَالَ
وَالدَّارُ دَارُ بَلَاءٍ إِنْ رَضِيتَ بِهَا وَكَيْفَ تَرْضَىٰ بِدَارِ الْبُعْدِ مَأْمُولًا؟
دُنْيَاكَ دَارُ فَنَاءٍ لَا بَقَاءَ لَهَا أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ تُعْطَى الْخَيْرَ مَوْصُولًا
الْمَوْتُ عِبْرَةٌ مَنْ فَازُوا بِسَابِقَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ لَمْ يَرَوْا زُورًا وَتَأْوِيلًا
فَرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ دُنْيَا وَآخِرَةٍ لَمْ يَشْهَدُوا عُمْرَهُمْ غَيْرًا وَتَبْدِيلًا
أَحْيَاهُمُ الْحُبُّ فِي شُغْلٍ بِخَالِقِهِمْ حَتَّىٰ بِهِ اتَّصَلُوا قُرْبًا وَتَمَثَّلًا

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم رحمته الله

من مكتبة دار الكتاب الصوفي

تليفون 002 022 3901030

١١٤ ش مجلس الشعب

في جانب تفسير القرآن :

- ١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن " .
- ٢ تفسير سورة القدر .

في جانب العقيدة :

- ١- كتاب عقيدة النجاة .
- ٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها .

في جانب العلوم الفقهية:

- ١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﷺ وآله ﷺ .
- ٢- صيام أهل المدينة المنورة .
- ٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

في جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

- ١- سيرة النبي ﷺ وآله ﷺ
- ٢- وسائل إظهار الحق .

في جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

- ١- النشأة الثانية .
- ٢- الوسيلة وما اختلف فيه من السنة والبدعة .
- ٣- الشفاء من مرض التفرقة .
- ٤- الجفر .
- ٥- تحذير الدين من بيع أراضي فلسطين .
- ٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادت .

٧- الرد على نظرية دارون.

في جانب الأخوة الإسلامية :

- ١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﷺ وآله.
- ٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله.

في جانب المناسبات الدينية :

- ١- السراج الوهاج في الإسراء والمعراج
- ٢- بشائر الأختيار في مولد المختار
- ٣- مشارق البيان في فضائل شعبان
- ٤- لبيك اللهم لبيك.

في جانب المسرحيات الدينية :

- ١- محكمة الصلح الكبرى.
- ٢- العالم والتاجر والفلاح.
- ٣- المقتصد والمصرف والفاقد.
- ٤- السياسى والحكيم والغشيم.
- ٥- الصالح واللص والسكرى.

في جانب الصلوات والأدعية :

- ١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
- ٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية.
- ٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

في جانب التصوف :

- ١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
- ٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
- ٣- معارج المقربين.
- ٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
- ٥- من جوامع الكلم.
- ٦- الطريق إلى الله تعالى.
- ٧- الفرقة الناجية.
- ٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
- ٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
- ١٠- مصطلحات الصوفية
- ١١- آداب آل العزائم
- ١٢- دروس تزكية النفوس
- ١٣- موارد أهل الصفا
- ١٤- قيس من المضمون
- ١٥- الصوفية والتصوف

في جانب المواجيد:

- ١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.
- ٢- المواجيد العزمية في مواجهة الروضة الحسينية.
- ٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.